الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵏⴰⵡⴰⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⴰⵎⵙⴰⵡⴰⵍ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵜ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵉⵡⵉⵏ

Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et Littérature Arabes

جامعة مولود معمري؛ تيزي –وزو
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

الموضوع:

تشكّل الذّات وتحوّلها في رواية" لخضر" لـ "ياسمينة صالح"

مذكرة مقدّمة لاستكمال نيل شهادة الماستر

إعداد: **نعيمة غروس.**

أعضاء لجنة المناقشة:

1- أ. د. سامية داودي، أستاذة التّعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي- وزو.....رئيسة

2-د. عزيز نعمان أستاذ محاضر صنف(ب)، جامعة مولود معمري تيزي-وزو....مشرفا ومقررا

3- د. كريمة حميطوش، أستاذة محاضرة صنف(ب)، جامعة مولود معمري تيزي-وزو....ممتحنة

السّنة الجامعية: 2018/ 2019.

إهداء

إلى من تتسابق نحوهم الكلمات لتخرج معبّرة عن مكنون ذاتها: أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدتي الغالية، يا من عانت الصّعاب، وعلّمتني الصّمود مهما تبدّلت الظّروف، إلى من أفتقده في مواجهة الصّعاب لأرتوي من حنانه(أبي)، إلى من كانوا يضيئون لي الطّريق ويساندونني، ويتنازلون عن حقوقهم لإرضائي(إخوتي)، إلى عائلتي الصّغيرة الغالية ولديّ قرّة عيني، زوجي سندي، وإلى أساتذتي، زملائي، وزميلاتي، أهدي هذا البحث المتواضع راجيا من المولى عزّ وجلّ أن يجد القبول والنّجاح.

شكر

أشكر الله شكرا جزيلا، وأحمده حمدا كثيرا، الذّي أنار عقلي، وأضاء لي دربي، ويسّر لي أمري، وأمدّني طول الصّبر، وزوّدني بالقوّة لإتمام هذا البحث المتواضع.

ومن بعده أتقدّم بأسمى معاني الشّكر والتّقدير إلى الأستاذ الدّكتور" **عزيز نعمان**" الذّي كان موجّها ومرشدا فجزاه الله خيرا.

كما أتقدّم بالشّكر الكبير للأستاذة المحترمة" سهيلة دريوش" ، دون أن ننسى الأستاذ "عامر سعيد"، وزميلتي" فهيمة سالمكور"، وكلّ من كان له يد العون في إنجاز هذا العمل المتواضع.

مقدّمة

شغلت الرّواية حيّزا كبيرا لدى الكثير من الأدباء، باعتبارها الجنس الأدبي الذّي ينتشر بكثرة في وسط القرّاء، وباعتبارها الفضاء الواسع غير المحدود الذّي يسمح للمبدع بطرح جميع انشغالاته واهتماماته، والتّعبير عن أفكاره، إذ تتميّز الرّواية بتعددّ أمكنتها وأزمنتها، وتشعّب أحداثها وعقدها، واعتمادها على شخصيات عديدة.

يرتبط عنوان بحثنا بتشكّل الذّات وتحوّلها في رواية **لخضر** لـ **ياسمينة صالح**، فموضوع الذّات قد شغل تفكير كلّ من الفلاسفة، وعلماء الاجتماع، وعلماء النّفس، الأنتروبولوجيّين، فقد أصبح نواة لعدّة بحوث متعلّقة بالإنسان وحياته، كما نجد مصطلح "الذّات" حاضرا في مجال الأدب، ولضبط مفهوم" الذّات" الذّي لا يمكن أن يستقر على دلالة واحدة، وجب علينا العودة إلى مختلف تعاريف هذه العلوم المختلفة له، حيث يظهر التّداخل القائم بين دلالات المصطلح وهو ما أشار إليه الباحثون، غير أنّه كلّها تتقارب في الدّلالة العلمية، فهي تهتم بالفرد كعنصر يعيش في المجتمع يؤثّر فيه ويتأثّر به.

تمحور بحثنا حول **تشكّل الذّات وتحوّلها في رواية**" **لخضر**" التّي تنطلق من ثلاث قضايا كبرى: الثّورة، العشرية السّوداء، التّطرّف الدّيني، هذا ما يجعل منها نصّا إشكاليا متميّزا، هذا ما دفعنا إلى محاولة معرفة مقوّمات هذه الذّات ومظاهر تحوّلها وعلامات استيلابها، فقد استطاعت الكاتبة في روايتها التّي تشبه الملحمة، أن تحكي مأساة ملايين البشر، كما حاولت رصد الواقع المعيش لغالبية أبناء الطّبقة الفقيرة في المجتمعات العربية عامة، وما يحول دون توازنها وعدم استقرارها، مع ذكر الأسباب التّي أثّرت على هذه الذّات تأثيرا سلبيا وأدّت بها إلى التّحوّل، بمقابل ظهور ردود أفعال تجاه هذا الحرمان والقسوة والفقر الذّي تعرّضت له. وهذه المعطيات مجتمعة دفعتنا إلى طرح الإشكالية الآتية: كيف مُثّلت الذّات تأسّسا وتحوّلا في رواية" لخضر"؟ تتفرّع عن هذه الإشكالية المركزية أسئلة ثانوية يمكن أن نصوغها فيما يلي:_ ما قوام الذّات، وماهيتها في الفلسفة والأدب عامة؟

_ كيف مثّلت ياسمينة صالح الذّات المتحوّلة، وما مرجعيات ذلك التّحوّل؟

_ أين يتجلّى السّلب الممارس على الذّات وما آثاره؟

للإجابة عن أسئلة الإشكالية قسّمنا بحثنا إلى فصلين، يحوي كلّ منهما مبحثين، أمّا الفصل الأوّل الموسوم" **ماهية الذّات ومحدّداتها**" فخصصناه للحديث عن مصطلح الذّات، وقد عالج مبحثه الأوّل **أنطولوجية الذّات**، حيث سعينا فيه لتوضيح مسعى الإنسان الدّائم لفهم الوجود وتحديد طبيعته، من خلال التّطرق إلى أنواع الوجود الخمسة: الوجود لذاته، الوجود الواقعي، الوجود الفعلي، الوجود الخالص، الوجود المتعيّن، واهتمّ المبحث الثّاني بـ"**الذّات في جدلها مع الواقع**"، حيث يبيّن أنّ الإنسان في صراع وجدل دائمين مع مؤسسات المجتمع لفرض وجوده، وضمان استمراريته، وركّزنا في ذلك على عناصر ستة: تضارب الاحتياجات، تضارب المصالح، صراع الهوية، الصراع الإيديولوجي، تضارب الثّقة بالحكم أو العدالة.

أمّا الفصل الثّاني الموسوم" **الذّات موضع تمثيل ومكاشفة في رواية" لخضر**" فقد تتبعنا مختلف المظاهر التّي قدمتها الكاتبة للذّات في كلّ مرحلة من حياتها بدءا من الذّات اليائسة، إلى الذّات الدّينامية، مرورا من الذّات المتحوّلة، وصولا إلى الذّات المنفّذة. ودرس المبحث الأوّل" **الذّات المتحوّلة ومرجعياتها**"، حيث يبيّن ما طرأ من تحوّلات على هذه الذّات، سواء على الصّعيد الفكري أو الأخلاقي، والمصادر التّي استمدت منها تحوّلها من عنف أسري وحرمان وتطرّف ديني.

ويتعرّض المبحث الثّاني الموسوم بـ" **كشف الذّات تعرية للوجود الإنساني**"، إلى أربعة عناصر هي: الذّات الخاضعة للقدر، والذّات الحالمة، والذّات المنشطرة والمتردّدة، والذّات الجديدة.

كان اعتمادنا في تحليل مدونتنا الرّوائية على بعض المفاهيم المرتبطة بالذّات وجدليتها مع الوجود الإنساني، وأبرزها مفهوم الأنطولوجية عند جمهور الفلاسفة، واستثمار بعض المفاهيم النّفسية التّي تساءل الذّات عبر الأدب، كمفاهيم الذّات الخاضعة والمنشطرة وركزنا أيضا على المصطلح المفتاح لبحثنا (الذّات) من نواحي مختلفة: النّاحية اللّغوية، والفلسفية، والنّفسية، والاجتماعية.

وقد اعتمدنا في إنجاز بحثنا على مجموعة من المراجع لعلّ أبرزها كتابا:" طبيعة الوجود في الفلسفة المثالية عند" ماكتجارت" لمحمد توفيق الضّوى، " والذّات الحقيقية عند كارل ياسبرز" لصفاء عبد السّلام جعفر"، إلى جانب مصادر أخرى تختص بعلم النّفس، وبعض المعاجم، والمجلاّت، والصّحف والرّسائل الجامعية المتخصّصة.

كما واجهتنا، كغيرنا من الباحثين صعوبات أثناء إنجاز هذا البحث، تكمن أساسا في عمق وتشعّب مصطلح" الذّات"، و استخداماته المتنوعة، التّي تقتضي إعطاءه حقه، مع مراعاة سياقات توظيفه.

ولا يسعنا في الأخير سوى أن نتوجّه بشكرنا الجزيل إلى أستاذنا المشرف الدّكتور**عزيز نعمان** على متابعته لبحثنا، وعلى الجهود التّي بذلها من أجل بلوغ هذا العمل، دون أن ننسى توجيه شكرنا الجزيل إلى الأستاذة" **سهيلة دريوش**" التّي أمدّتنا بعناوين تخدم بحثنا، والأستاذ" سعيد عامر" الذّي اقترح علينا عناوين مختلفة، ومنّا الشّكر الجزيل لزميلتنا" **فهيمة سالمكور**" التّي قامت بكتابة بحثنا، فجزيل الشّكر لكلّ الذّين أمدّونا بيدّ المساعدة.

ولا يفوتنا ختاما أن نوجّه بشكرنا المسبق للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة هذا العمل، ونتعهّد مسبقا بالأخذ بملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيّمة.

الفصل الأوّل: ماهية الذّات ومحدّداتها.

المبحث الأوّل: أنطولوجية الذّات:

1) مفهوم الأنطولوجية:

يعتبر مصطلح الأنطولوجية من المصطلحات التّاريخية القديمة، ويخص المجال الفلسفي، وقد اختلفت وتنوّعت تعاريف هذا المصطلح لدى كبار الفلاسفة، أمثال(socrates سقراط وأفلاطون(PLATON)،أرسطو(ARISTOTE)،مارتن هايدغر(MARTIN HEIDEGER)..). وتوضّح **صفاء عبد السّلام جعفر** ذلك بقولها:« كما نجد هذا المصطلح عند اليونان قبل سقراط بمعنى الوجود المادي القائم في ذاته، والممتلئ، والكامل، أو كموضوع يتصّف بالأزلية والسّكون»[1]. فمنذ أن وُجد الإنسان على وجه الأرض عبر مختلف العصور كان في حالة بحث مستمر لفهم هذا الوجود، هذا المصطلح الذّي يحمل في طيّاته الكثير من التّعاريف. فلقد شغل تفكير الفلاسفة واحتلّ مكانة هامة في فلسفاتهم، إذ اختلفت تعاريفه من فيلسوف لآخر، فهناك من يرى أنّه مرتبط بالمعاني والماهيات أو بالثّبات والسّكون والأبدية...

2) وجود الذّات:

الذّات الإنسانية يكتنفها الغموض والتّعقيد، فلها جانب كامن وآخر مُدرك، والإنسان في بحث وسعي مستمر لفهمها، وتحديد طبيعة وجودها. ولهذا الوجود عدّة أنواع منها:

أ) الوجود لذاته:

إنّ الفرد في فضول دائم ومتواصل محاولا فهم وجوده، وهو« وجود قائم بذاته مستقلّ عن غيره متمركز حول كيانه»[2]. فلو كان الفرد موجودا لذاته فقط دون الاهتمام بوجود الذّوات الأخرى، وركّز على وجود ذاته بإقصاء كلّ الموجودات والذّوات. لأصبحت هذه الذّات معزولة

---

[1] – صفاء عبد السّلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص27.

[2]– Mc Taggart : Commentary on Hegel's Logic, Oxford Clarondon Press, London, 1929 .P.15, نقلا عن: محمد توفيق الضوى: طبيعة الوجود في الفلسفة المثالية عند ماكتجارت، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية، مصر، 2000، ص47.

وحيدة، والإنسان لا يمكنه العيش خارج إطار الجماعة، وبالتّالي ستكون هذه الذّات عرضة لمختلف أنواع الأمراض التّي تصيب الشّخصية مثل: التّوحّد، الأنانية، النّرجسية...« وأوضح نموذج لهذا الوجود هو وجود الأنا بوصفها معروفة لنا كموجود متمايز عن غيره من الموجودات الأخرى، فالإنسان يتميّز عن الحيوان وعن موجودات الطّبيعة بأنّه هو الكائن الوحيد الذّي يعي نفسه، ولهذا لا تصل الموجودات الأخرى إلى هذه الدّرجة من الوعي»[1]. إنّ الفرد فضولي وفريد بطبعه منذ الأزل، وحياته تتطوّر وفق مراحل مختلفة لذا ينتابه القلق الشّديد في مختلف أطوار حياته، ففي مرحلة المراهقة يرغب في امتلاك كلّ شيء، وفي مرحلة الشّباب والرّجولة يُصاب بالقلق على المستقبل، لتأتي مرحلة الكهولة والشّيخوخة حيث يكون القلق على النّهاية والخوف من الموت. فالإنسان منذ ولادته في تساؤل وقلق وفضول لفهم طبيعة وجوده.

ب) الوجود الواقعي:

لقد تعدّدت واختلفت تعاريف مصطلح الوجود الواقعي من فيلسوف إلى آخر، فقد عرّفه **هيجلHEGEL** بـ:« اتّحاد الماهية والوجود الفعلي أو الظّاهر »[2]، فلكلّ شيء ماهية هي بمثابة لبّ، جوهر، نواة، ووجود داخلي باطني، خفّي. وهذه الماهية تتحقّق في الواقع عندما تظهر على شكل ظاهر، يمثّل ماهية تظهر وتتحقّق. وتكون هذه الماهية التّي وُجدت مسبقا ثمّ أصبحت ظاهرا مماثلة غير مختلفة عن ظاهرها، وبالتّالي يدخلان في اتّحاد ويشكّلان وجودا واقعيا محقّقا، ويرى **هيجل** أنّ الماهية لا تملك مجالا آخر للظّهور والتّحقق سوى مجال الظّاهر.

---

[1] –Mc Taggart : Commentary on Hegel’s Logic, Oxford Clarondon Press, London, 1929 ، 15ص ، نقلا عن: محمد توفيق الضوى: طبيعة الوجود في الفلسفة المثالية عند ماكتجارت، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية، مصر، 2000.

[2] – عبد الرحمن بدوي: الزّمان الوجودي، ط3، ص ص10، 11. نقلا عن: محمد توفيق الضوى: م س، ص ن.

ت) الوجود الفعلي:

يعتبر الوجود الفعلي من أهم أنواع الوجود، يعرّفه **هيجل** بـ« اتّحاد مباشر بين الانعكاس داخل الذّات والانعكاس داخل للآخر، وينتج من هذا أنّ الوجود هو كثرة لا متناهية من الموجودات ترتبط بعلاقات مع بعضها(...) »[1]. ليس بإمكان الفرد العيش خارج إطار الجماعة، وليس بإمكانه تشكيل عالم بمفرده، ولكلّ ذات انعكاس داخلي خاص بها يحدث بتفاعلها مع المحيط الخارجي والذّوات الأخرى. ولكي تثبت هذه الذّات وجودها فعليا في الميدان والعالم الخارجي يجب أن تكون في نشاط وحيوية وتواصل. أي ذات فاعلة مع الآخر بمعاملاتها وعلاقاتها ونشاطاتها، وهذا ما يسمى بالوجود الفعلي الذّي يتميّز بالحركة والتّفاعل، وهذا ما ينتج عنه عدد لا متناه من الموجودات المتّحدة والمرتبطة بعضها ببعض لتشكيل عالم مترابط وقائم بذاته.

ث) الوجود الخالص:

هذا النّوع من الوجود لا يقلّ أهميّة عن الأنواع التّي سبق ذكرها، وقد اعتبره **هيجل:**«لحظة من لحظات الفكر جرّدت وأصبحت موضوعا للتّفكير بذاتها، وهو أيضا وجود خال من كلّ تعيين لأن أي تعيين سوف يضفي عليه طبيعة جزئية »[2]، أي هو وجود صاف ومحض، جديد إذ صح التّعبير، وخاص بصاحبه فقط دون تشابه مع غيره، فالذّات عندما تكون في حالة تفكير لا تملك سوى فكرها المجرّد والخالي من التّعيين، دون مميّزات وملامح، فهي لوحدها مع نفسها فحسب، أي لحظة تفكيره تلك هي بذاتها موضوعا للتّفكير فهذا هو الوجود الخالص الخالي من الشّوائب، وجود أصلي.

---

[1]- Hegel, The science of logice of Hegel, Trans.by wallas «From the Encyclopaedia if philosophical Science», Oxford, 1984, p, 170. نقلا عن محمد توفيق الضّوى : م ن، ص ن.

[2]– Hegel, The Science of logic,VoL1, Trans.by W.H. Johnston qnd L.G. struthers, London, 1929, p.94. . نقلا عن: محمد توفيق الضوى، م س، ص46.

ج) الوجود المتعيّن:

إنّ الوجود المتعيّن هو عكس الوجود الخالص، ويعتبر ثاني أنواع الوجود عند **هيجل،** ويقول بأنّ« له خاصية وشكلا وهو ببساطة وجود من أجل شيء أو من أجل ذات»[1] هو وجود له صورة واضحة المعالم، لكن بصفة عامة، ولهذا النّوع من الوجود خصائص تمكّننا من تمييزه عن باقي الموجودات الأخرى. فالذّات الإنسانية لحظة تفكيرها تملك صورة عامة عن ذلك الوجود، وتعرف أنّ له شكلا معيّنا ولونا خاصا، ورائحة... وهذا الوجود مختلف تماما عن الوجود الخالص.

I. مصطلح الذّات:

لا يمكننا أن نتطرّق إلى مصطلح" الذّات" دون التّعرض إلى مفهومه اللّغوي والاصطلاحي، نظرا لأهميّته البالغة في مختلف العلوم الإنسانية: الفلسفة، علم الاجتماع، وعلم النّفس، والأنثروبولوجيا...إلخ.

1) من النّاحية اللّغوية:

إنّ مادة(الذّات) في معجم الوسيط هي:« مؤنّث ذو بمعنى صاحب. و(الذّات): النّفس والشّخص. يقال في الأدب نقد ذاتي: يرجع إلى أراء الشّخص وانفعالاته، ويقال جاء فلان بذاته: عينه ونفسه، ويقال: عَرَفه من ذات نفسه.(وذوات الصدر): سريرة الإنسان. وفي التّنزيل العزيز﴿والله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾»[2].

[1] – ولترستيس: المنطق وفلسفة الطّبيعة، تر: إمام عبد الفتّاح إمام، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، ط3، بيروت، 1983، ص131، نقلا عن: محمد توفيق الضوى، م ن ، ص ن.

[2] – معجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية، ط3، ج 1، مطابع الأوقست بشركة الإعلانات الشّرقية، القاهرة، مصر، 1975، ص ص319، 320.

إنّ كلمة" الذّات" هي مؤنّث كلمة" ذو"، التّي يقصد بها صاحب، كأن نقول مثلا: المرأة ذات الخمار الأسود أي المرأة صاحبة الخمار الأسود. ويقال جاء فلان بذاته أي هو بعينه. أمّا في تنزيل العزيز فالله سبحانه وتعالى يعلم ما في صدور جميع عباده، فهو خالقنا جميعا.

أمّا الشّيخ **عبد الله العلايلي** فيعرّف الذّات(**Self**) بقوله:« هي حقيقة الشّيء وتساوي الجوهر ومجموعة الخصائص التّي تميّز الشّيء كما عداه وتساوي الماهية. وتطلق الذّات(**Sujet**) على الجانب المدرك في الإنسان مقابل الموضوع(**objet**).

ذات الشّيء:(**Essence**) إذا استعملت هكذا مضافة فإنّما يعني بها ماهية أو جزء ماهيته. ذاتي(**Subjectif**) نسبة إلى الذّات»[1] ؛ فـ **عبد الله العلايلي** قد عرّف الذّات بأنّها لبّ أو نواة الشّيء والإنسان، وهي التّي تجعله متميّزا ومختلفا عن غيره بهذه الخصائص، وإن استطاع هذا الفرد الوصول إلى فهم ما يحدث في داخله سيتمكن من معرفة ذاته وتوجيهها توجيها صحيحا. غير أنّ تمكّن الفرد من معرفة ذاته ومن ثمّ توجيهها أمر غير ممكن، فهذه الذّات حيّرت العلماء والأدباء والفلاسفة، وتتدخّل في تكوينها عدّة جوانب وتتأثّر بعدّة عوامل، فموضوع الذّات من الموضوعات التّي تلقى اهتماما متزايدا في الدّراسات العلمية والتّربوية والنّفسية، فهي في نظري بحكم طابعها الغامض والمعقّد مصطلح زئبقي.

ويعرّف **بطرس البستاني** "الذّات" من جهته:« ما يصلح لأن يُعلم ويُخبر عنه. مثناها ذاتان وجمعها ذوات، وربّما استعملت ذات بمعنى التّي وذوات بمعنى اللّواتي مبنيتين على الضّم»[2]. يرى **البستاني** أنّ الذّات هي ما يصلح أن نعرفه ونُخبر الآخرين عنه، كما يشكّ في قوله" ربّما أنّ كلمة" الذّات" استعملت بمعنى التّي وذوات بمعنى اللّواتي. بحيث تعتبر الذّات من أهمّ أبعاد الشّخصية الإنسانية، فهي الجوهر واللّب، والجانب الأكثر أهمّية في تكوين الشّخصية،

[1] – عبد الله العلايلي: الصّحاح في اللّغة والعلوم، ط1، دارة الحضارة العربية، بيروت، 1974، ص434.

[2] – بطرس البستاني: قطر المحيط، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995، ص197.

ولو عرّف هذه الذّات أنّها ما يجب أن يُعلم ويُخبر عنه لَكَان ذلك أنسب، لأنّ محاولة معرفة الذّات أمر ضروري لكلّ فرد منّا.

2) من النّاحية الاصطلاحية:

يعرّف **محمود يعقوبي** الذّات في معجمه الفلسفي كما يلي:« ذات الإنسان هي نفسه العاقلة العارفة من جهة ما هي قوام وملتقى المعقولات والمعارف المتنوّعة التّي تسمّى بهما الاعتبار موضوعا لها»[1]. يرى **يعقوبي** أنّ ذات الإنسان تتمثّل في تلك النّفس الواعية المدركة للأشياء بتعقّل، والتّي تدرك الأسس ومجموع المعارف والمعقولات المختلفة التّي تعتبر موضوعا بالنّسبة لهذه الذّات. كما يعرّف مصطلح" ذاتي" مؤكّدا بأنّ الذّات للشيء:« هو ما كان فيه بمقتضى طبيعته وكيانه لا بمقتضى نسبته إلى غيره وعلاقته به، مثال ذلك أن القيمة الذّاتية للشّيء هي القيمة التّي يستمدها من طبيعته لا من علاقته بغيره(....)»[2] بمصطلح الذّاتي فيقصد به كلّ ما هو موجود وكائن في الفرد بحسب طبيعته وكيانه وخصوصيته على انفراد دون نسبته إلى فرد آخر، والقيمة الذّاتية للفرد يستمدّها من طبيعته فقط.

ورد في معجم" العلوم الاجتماعية" لـ **ابراهيم مدكور** بأنّ الذّات:« بناء نفترض وجوده باعتباره أساس تحقيق التّكامل والاتّصال بين خبراتنا جميعا، أي الأساس الذّي يجمع بينها في كلّ منظّم ومتّصل»[3]؛ يشبّه **مدكور** الذّات ببناء يفترض وجوده، نظرا لأهميّته البالغة ودوره في تحقيق التّكامل والاتّصال بين الأفراد جميعا. فوجود الذّات أمر ضروري، فكلّ ذات تتكامل مع أخرى وتستفيد منها، وينتج عن ذلك التّفاعل كلّ منسجم. كما يعرّفها أيضا بأنّها «الشّخصية كما يعاينها صاحبها ومن ثمّ فإنّ لها جوانب متعدّدة(...)»[4]، يعتبر **مدكور** الذّات بأنّها

---

[1] – محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، مكتبة الشّركة الجزائرية، مطبعة البعث، الجزائر، 1979، ص78.

[2] – م ن، ص79.

[3] – ابراهيم مدكور: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، مصر، 1975، ص277.

[4] – ابراهيم مدكور: معجم العلوم الاجتماعية، الصّفحة نفسها.

الشّخصية، ولها عدّة مكوّنات مختلفة، تتدخّل في تكوينها وتشكّلها، والكثير من الأدباء والنّقاد يقرّون بتداخل هذين المصطلحين وصعوبة الفصل بينهما.

وفي علم النّفس يرى **كارل روجرز(Carl Rogers)** أنّ الذّات« ماهية الفرد التّي تنمو نتيجة النّضج والتّعلم والتّفاعل مع البيئة، وهي تشمل الذّات المدركة والذّات الاجتماعية، والذّات المثالية التّي تسعى إلى التوافق والاتّزان»[1] ؛ تمثّل الذّات وفق تصور **روجرز** جوهر الفرد، إذ تتكوّن وتتشكّل نتيجة لتفاعلها مع البيئة، وتتكوّن من ذات اجتماعية تكمن في تصوّر الفرد لتقويم الآخرين له، وذات مثالية تكمن في الحالة التّي يتمنّى الفرد بلوغها على الصّعيد النّفسي والجسمي. كما يرى أنّها« تكوين معرفي منظّم ومتعلّق بالمدركات الشّعورية والتّصورات والتقييمات الخاصة بالذّات، والتصوّرات التّي تحدّد الصّورة التّي يعتقد أن الآخرين في المجتمع يتصوّرونها عنه، والتّي يمثلها الفرد من خلال التّفاعل الاجتماعي مع الآخرين»[2]. فالذّات في نظر **روجرز** مكوّنة من مجموع مدركات شعورية وتصورات وتقييمات خاصة بها، تعتقد بأنّها الصّورة التّي يطبعها الآخرون حوله، وذلك من خلال تواصلها الاجتماعي معهم.

وفي« معجم علم النفس» يعرف **فاخر عاقل** الذّات بقوله:« الفرد في وعيه أي لذاته»[3]. فالوعي والذّات في نظر الدارس يمثّلان مصطلحا واحد، فثمّة شبه ترادف بين المفهومين في حدود السّياق، في حين أنّ الذّات هي حقيقة الشّيء و جوهره وماهيته. كما عرّفها **عبد الله العلايلي** في معجمه« الصّحاح في اللّغة و العلوم». بينما الوعي هو الإدراك والفهم العميق و المستبطن للشّيء. فالقارئ يتلمّس في هذا التّعريف عدم تمييز، أو بالأحرى دمج عاقل الذات و الوعي، ولو قال الفرد متمثّلا في وعيه لذاته لكان ذلك أنسب لأن محاولة وعي وإدراك الذّات الباطنة أمر ضروري لكلّ فرد.

---

[1] – جابر أحمد برزان: الإرشاد والتّوجيه النّفسي، ط1، الجنادرية للنّشر والتّوزيع، عمّان، 2016، ص75.

[2] – م ن، ص74.

[3] – فاخر عاقل : معجم علم النّفس، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1910، ص102.

II. المحددات الذّاتيّة:

هناك مجموعة من المحدّدات تتدخّل في تحديد الذّات الإنسانية، وتجعلها متميّزة عن الذّوات الأخرى، فهناك محدّدات متعلّقة بالبيئة الخارجية و أخرى متعلّقة بالفرد و نفسه.

1_***محددات البيئة الخارجية:*** يوجد عدة أنواع من محددات البيئة الخارجية منها:

أ_المحددات الأسرية:

للمحيط الأسري أهمية بالغة في تشكيل الذّات بطريقة إيجابية أو سلبية« إذا كان مفهوم الإنسان عند ذاته مستمدّا من سلوك الأشخاص الهامين في حياته فلا بديل أفضل منه أن يبدي الوالدان تقبّلا ثابتا واضحا للطّفل. فالأطفال الذّين يشعرون بالحبّ والتّقبل يحملون شعورا إيجابيا نحو الذّات(...)»[1]، وللأسرة دور كبير و تأثير فعّال على الذّات، ذلك لأنّها المحيط الأوّل الذّي يحتضن الطّفل منذ ولادته، و لأنّ هذا الطّفل كائن حسّاس وشديد التّأثر وجب علينا توفير الجو الملائم ومعاملته بإيجابية، وذلك لأهمية هذه المحدّدات الأسرية و تأثيرها بدرجة كبيرة على نموّ هذه الذّات بطريقة بنّاءة دون عراقيل، كما ينتج عنها شخصية سوية.

ب- المحدّدات المدرسية:

لا تقل أهمية المحيط المدرسي شأنا عن المحيط الأسري، للمدرسية أيضا تأثيرها الخاص على بناء شخصية الفرد« لها دور كبير في تقدير الطّفل لذاته، حيث يكون تأثيرها في تكوين تصور الطّفل عن ذاته واتجاهاته نحو قبولها أو رفضها، كما أن نمط النّظام المدرسي و العلاقة بين المعلّم و التّلميذ يؤثر تأثيرا هاما على مستوى مفهوم التلميذ نفسه.»[2]، ولهذا تعتبر المدرسة المحيط الثّاني للفرد، فهي تتدخل في تقدير الفرد لنفسه. وللمعاملة الإيجابية التّي تصدر من الأستاذ والزملاء انعكاس و أثر كبير على نفسية الفرد، وهي التّي جعله واثقا من

[1] – دينا موفق زيد: مفهوم الذّات وعلاقته بالتكيّف الاجتماعي، دراسة مقارنة لدى طلبة شهادة الثّانوية العامة بفرعيها العلمي ولأدبي، مشروع تخرج مقدم لنيل درجة الإجازة في الإرشاد النّفسي، إشراف: مطاع بركات، دمشق، 2007-2008، ص38.

[2]– الفصل الرّابع تقدير الذّات، ص63، الزّيارة:. 2019/3/25، التوقيت: 10:30. dspace. Univ- djelf. dz .

نفسه، و بالتّالي يكوّن تصوّرا إيجابيا و عاليا عن ذاته، وهذا ما سيؤثر بدوره على مستواه الدّراسي ويجعله متفوّقا.

ت_ المحدّدات الاجتماعية:

للبيئة الاجتماعية أثر كبير على حياة الفرد وهي التّي تجعله ذاتا ناجحة أو فاشلة.«(...) أنّ تقدير الذات يتأثّر بالظّروف المحيطة بالفرد، فإذا كانت مثيرات البيئة إيجابية تحترم الذّات الإنسانية وتكشف عن قدرتها وطاقتها يصبح تقدير الذّات إيجابيا، أمّا إذا كانت محبطة فإن الفرد يشعر بالدّونية(...).»[1]. إنّ الإنسان اجتماعي بطبعه فهو يعيش في إطار الجماعة وفي بيئة اجتماعية معينة، وهو بحاجة ماسة إلى شروط بيئية إيجابية ومناسبة لكي يتحقق له الاستقرار والرّاحة. وهذا ينتج ذاتا عالية التّقدير مفتخرة بنفسها، متميزة ومتفائلة في الحياة ذات رغبة شديدة في العيش.

2_ المحدّدات المتعلقة بالفرد نفسه: توجد عدة محددات متعلقة بالفرد ومن بينها:

أ-الجنس:

لعنصر الجنس انعكاس كبير على بناء وتشّكل الذّات البشرية ذلك أن« متغيّر الجنس يعدّ من المتغيرات المهمة التّي تؤثّر في تقدير الذّات. فهو يحدّد إلى حدّ ما أساليب المعاملة الوالدية، حيث قد نرى الفرق واضحا في تعامل الوالدين مع أبنائهم، حيث يعطيان الرعاية والعناية والاهتمام للولد أكثر منه للبنت(...)»[2]، ولعلّ للتّمييز في المعاملة بين الجنس الذّكوري والجنس الأنثوي، أو العكس آثارا كبيرة، تنتج عنها نتائج سلبية، فالطّرف المفضّل يحظى باهتمام بالغ، وعناية كبيرة، ويكون في حالة تقدير ذاتي عالي، عكس الطّرف المهمل الذّي يكون في حالة تقدير ذاتي منخفض ودوني، هذا ما يسبب له أزمات وعقدا نفسية تجعله ينعزل عن العالم ويصبح شخصية غير سوية.

---

[1] – الفصل الرّابع: تقدير الذّات، ص64.

[2] – م ن.

ب) النّاحية الجسمية:

للبنية الجسمية أثر بالغ الأهمية على الذّات الإنسانية إذ« تعدّ من المصادر الحيوية في تشكيل مفهوم الذّات والتّي تتضمّن بنية الجسد ومظهره وحجمه، فطول الجسد وتناسقه ومظهره وملامحه الجميلة لها تأثير إيجابي في رؤية الفرد لنفسه، لأنّ ذلك يدعو غالبا إلى استجابات القبول والرّضا والتّقدير والحب والاستحسان(...)»[1].

إنّ الذّات الإنسانية حسّاسة فهي تتأثّر بمختلف العوامل، فلطول الجسد وتناسقه، ولملامح الوجه(كلون العينين والشّعر)... انعكاس كبير على نظرة وتقدير الذّات لنفسها والحكم عليها، فإن كانت بملامح إيجابية تكون ذاتا واثقة، مُفتخرة، جريئة، تثبت وجودها، أمّا إن كان العكس تكون ذاتا منعزلة وخجولة، تشعر بالنّقص حتّى وإن كانت تمتلك قدرات ومستوى.

ت) السّلوك الإنساني:

يؤدي السّلوك الإنساني دورا مهما في تحديد الذّات، سواء بطريقة إيجابية أو العكس. « (...) ويمكن القول إنّ هناك ارتباطا وثيقا بين السّلوك ومفهوم الذّات فالذّين يتّسمون بالسّلوك المقبول لديهم مفهوم ذات سلبي(...)»[2]. إنّ الإنسان منذ ولادته يكتسب سلوكات من خلال تعامله مع بيئته الخارجية، إمّا أن تكون سويّة أو العكس، وهذه السّلوكات تؤثّر بدرجة كبيرة على تحديد مفهوم الذّات، فالفرد الذّي يملك سلوكا جيّدا مقبولا في تعامله مع النّاس يكون راض عن ذاته ويكوّن نظرة إيجابية عنها، عكس الذّي يملك سلوك غير سوي فهو يكوّن نظرة سلبية عن ذاته.

[1] – الفصل الرّابع: تقدير الذّات، ص 64.

[2] – م ن، ص63.

المبحث الثّاني: الذّات في جدلها مع الواقع:

إنّ الموجود الحيّ منذ ولادته إلى غاية نهاية حياته يظلّ في صراع وجدل من أجل إثبات وفرض وجوده وضمان استمرارية حياته، فلا وجود لحياة دون صراع، وهذا الجدل إمّا أن يكون قائما بين الذّات ومختلف مؤسسات المجتمع، وإمّا أن يكون جدلا داخليا مع ذواتنا.

وفي هذا الصّدد يقول **ياسبرز Jaspers**:« فيقوم بدور فعّال من أجل التّطور لكي يصبح أكثر ممّا عليه(..)»[1]. إنّ الإنسان يسعى دائما إلى الارتقاء وبلوغ أهدافه، وتحقيق حياة أفضل، فهو دائم البحث عن الوسائل التّي تجعله أكثر تطورا وراحة، وذلك بتحمّل كلّ الصّعاب والعراقيل، فالصّراع والجدل كامنان في الإنسان منذ الأزل، يحياهما ويصاحبانه طوال حياته.

إنّ الصّراع الاجتماعي سمة سائدة بين جميع أفراد المجتمع ومختلف مؤسساته، فهو موضوع قديم مرتبط بتطور الحياة الإنسانية عبر كلّ مراحلها التّاريخية، ولهذا الاختلاف والتّناقض مجموعة مختلفة من الأسباب، نذكر: السّلطة، الهوية، الثّروة، القيم، الأوضاع السّياسية والاجتماعية...

1) تضارب الاحتياجات:

تشترط حياة الكائن الحيّ عدّة شروط لضمان استمراريتها على وجه الأرض. يقول **حسن الزّيادي** بهذا الخصوص:« هنالك احتياجات يتطلّبها الإنسان من أجل البقاء مثل الغذاء والماء، والمكان والأمن للعيش بسلام، تنشأ النّزاعات بين المجموعات أو الأفراد بسبب فقدان أو التّهديد بفقدان أحد هذه الاحتياجات»[2]. إنّ الموجود الحيّ منذ لحظة وجوده هو بحاجة إلى

---

[1]-Jaspers K:Philosophie, 2er Band verlyvon Julins, springer, Berlin, Germany, 1932,p: 233.
نقلا عن: صفاء عبد السّلام جعفر: الذّات الحقيقية عند كارل ياسبرز، دط، دار الوفاء للطّباعة والنّشر، الإسكندرية، 2001 ، ص134

[2] – حسن الزّيادي: أسباب الصّراع، الحوار المتمدّن، موبايل. www. M،ahewar. Orgss.asp
الإنزال: 2013/9/7، الزّيارة: 6/17/ 2019، السّاعة: 20:10.

غذاء لكي ينمو جسمه، إلى سكن يأويه ويقيه حرّ الصّيف وبرد الشّتاء، كما أنّه بحاجة إلى عنصر الماء الذّي هو رمز الحياة وجوهرها لدى كافة الكائنات الحيّة(إنسان، حيوان، نبات)، فالإنسان لا يمكن بقاءه حيّا دون شرب الماء مثلا، وأيّ محاولة تهدد بفقدان إحدى هذه الاحتياجات تتبع عنها صراعات ونزاعات بين الأفراد. فالإنسان يحيا لتوفير كلّ هذه الاحتياجات الضّرورية التّي لا يمكنه الاستغناء عنها والتّي تضمن استمرارية حياته والحفاظ على بقائه. فيترتّب عن فقدان أحد هذه العناصر في الغالب نزاع يتجاوز المجموعات أو الأفراد إلى صراعات وحروب بين الدّول.

2) تضارب المصالح:

إنّ الفرد يسعى دائما إلى تحقيق أهداف ومكاسب مختلفة، وفي هذا الصّدد يرى" **حسن الزّيادي**" أنّها« أمنية الأفراد والجماعات للحصول على أشياء متوافقة مع أهدافهم واحتياجاتهم، على سبيل المثال ينشأ تضارب المصالح في مكان العمل عندما يكون الموظّف قد تنافس على المصالح أو الولاءات(...)»[1]، فرغبة الارتقاء وتقليد المناصب العليا هو هدف وأمنية كلّ موظّف، مهما كانت وظيفته، فهو دائم السّعي وراء النّجاح وبلوغ أهدافه وتحقيق أحلامه، وهكذا ينشأ نوع من التّنافس بين الموظّفين في مختلف القطاعات، كقطاع الصّحة، والتّعليم، والتّجارة، والصّناعة، والزّراعة.... ففي ميدان الصّحة مثلا الممرّض يسعى ليصبح طبيبا ثمّ بروفيسورا، وفي ميدان التّعليم يطمح المعلم ليصبح مديرا ثمّ مستشارا أو مفتّشا، وبذلك يسعى الموظّف في مجالات العمل المختلفة لتوفير كلّ ما يحتاجه وما يرغب فيه، وذلك بالتّنافس والصّبر والمثابرة، وهذا ما يولد جوّا من الحماس.

3) صراع الهويّة:

يُعتبر صراع الهوية من أهمّ أنواع الصّراعات التّي يتعرّض لها الفرد في حياته، ويعدّه

[1] – حسن الزّيادي: أسباب الصّراع، الحوار المتمدّن، الموقع السابق.

"الزّيادي"« واحد من أكثر الأنواع شيوعا من صراعات الاحتياجات فهو الصّراع حول الهوية أو صراع الأعراق، الذّي يحدث عندما يكون الشّخص أو مجموعة أشخاص يشعرون بأنّهم مهدّدون نفسيا أو جسديا من قبل الآخرين(...)»[1]، يمكننا القول بأنّ الهوية مسألة معقّدة وخطيرة، فلكلّ فرد أو شعب هوية خاصة به، يُعرف بها ويتميّز بها عن غيره يحافظ عليها جيلا عن جيل، وأي محاولة المساس بهذه الهويّة يؤدي إلى نشوب صراعات وحروب كبيرة، وقد اعتبرت قضيّة الصّراع حول الهوية من القضايا الصّعبة والشّائكة.

ولا يمكن لأيّ فرد أو شعب أن يقبل بأيّ تدخّل في هويّته، لأنّها مسألة كرامة، وأي شعب يفتقر إلى هوية هو أشبه ما يكون بشجرة دون جذور، وفرد بلا عائلة، وشعب بلا ماض، فموضوع الهويّة من المواضيع الحسّاسة، وهي عامل مباشر في نشوب عدّة حروب أهلية ودولية، وهي من القضايا المستعصية على الحلّ، وهو من مظاهر الصّراعات البشرية القديمة والحديثة.

4) صراع القيم:

لكلّ فرد أو جماعة قناعات ومبادئ خاصة تؤمن بها، وهذه الأفكار تتباين من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، و« يحدث عندما تكون هناك منافسة وتعارض على الأفكار أو المعتقدات الدّينية، أو العادات الأخلاقية أو الاختلافات التّربوية عند الأفراد والجماعات، وصراعات القيم هو بحد ذاته صعب الحلّ(...)»[2]. إنّ الفرد عندما يقتنع ويتشبّع بعقيدة ما، يتشبّث بها، ويدافع عنها، ويحرص على نشرها بين النّاس، وكلّ طرف يحاول التّرويج لمعتقداته وإيديولوجياته، ولهذا فالاختلاف في الانتماء، وحرص كلّ فئة على بلوغ أهدافها هو ما يولد صراعات وتعارضا حول مختلف القيم التّي يؤمن بها الإنسان ذلك أنّ كلّ شخص تغرس فيه قيم معيّنة منذ أن يكون طفلا، يكتسبها من محيطه الأوّل وهو البيت، ومن محيطه الثّاني الذّي هو المدرسة.

[1] – حسن الزّيادي: أسباب الصّراع، الحوار المتمدّن.

[2] – م ن.

5) الصّراع الإيديولوجي:

إنّ الصّراع الإيديولوجي لا يقلّ أهميّة وخطورة عن الأنواع التّي سبقته، فهو صراع يؤدّي إلى نشوب حروب ونزاعات، ويعرّف" **الزّيادي**" الإيديولوجيات بأنّها« منظومة من الأفكار المرتبطة اجتماعيا بمجموعة اقتصادية أو سياسية أو عرقية وأصبحت تطلق الآن على علم الاجتماع السّياسي تحديدا مثال الشّيوعية، والرّأسمالية الحرب المقدّسة»[1]. ولاختلاف الإيديولوجيات أهميّة بالغة وعواقب وخيمة خاصة عند حدوث تصادم فيما بينها، وهو ما يولد حروبا ونزاعات خطيرة، وأفضل مثال حول الصّراع الإيديولوجي، ظهور الحرب الباردة بين العملاقين الكبيرين الولايات المتّحدة الأمريكية والاتّحاد السّوفياتي، وقد تجلّت في منافسة وتسابق نحو التّسلح، بصناعة أحدث الأقمار الصّناعية وإطلاق الصّواريخ، ولهذا النّوع من الصّراع نتائج وعواقب لا يُحمد عُقباها.

6) تضارب الثّقة بالحكم والعدالة:

عندما يفقد الشّعب الثّقة في رؤسائه وحُكّامه، وخاصة جهاز العدالة، ينشأ بالضّرورة صراع ومعارضة وتضارب في الآراء:« تحقيق العدالة هي بحدّ ذاتها مشكلة وخاصة عندما تكون الثّقة مفقودة بين الأطراف يسبب نزاعا جديدا، ومن الأمثلة الحيّة هي قرارات المحاكم الرّئيسية(...) »[2]، وليست قضية تحقيق العدالة بالأمر الهيّن؛ فالثّقة الحاكمة في أغلب الحالات، إن لم تكن في كلّها، ليست عادلة في قراراتها، ويشكّك في مصداقيتها وشفافيتها، فهي صاحبة القرار والسّلطة، الآمرة والنّاهية، وما على الشّعب إلاّ الطّاعة وتنفيذ الأوامر. لكن عندما يدرك ويعي الشّعب ألاعيب وأكاذيب هذه الفئة أو الطّبقة الحاكمة، يظهر صراع ومعارضة شديدة، فعندما يشعر الشّعب بخيبة كبيرة تجاه السّلطات العليا التّي تحكمه وتسيّره تكون ردّة فعله قويّة ومعارضة شديدة، وهكذا يصبح الشّعب والسّلطة الحاكمة، بكلّ أجهزتها

[1] – حسن الزّيادي: أسباب الصّراع، الحوار المتمدّن، الموقع السابق.

[2] – م ن.

قطبين، متنافرين، والمثال الحيّ المناسب لهذا النّوع من الصّراع هو الحراك الشّعبي الذّي برز في كلّ ولايات الجزائر منذ22 فيفري2019، نتيجة لبلوغ الظّلم ذروته، وتكبّد المعاناة لسنين طويلة، والفساد الذّي يمارسه الجهاز الحاكم أدّى إلى فقدان وزوال الثّقة.

الفصل الثّاني: الذّات موضع تمثيل ومكاشفة في رواية" لخضر" لـ"ياسمينة صالح".

المبحث الأوّل: الذّات المتحوّلة ومرجعياتها:

إنّ الرّوائية **ياسمينة صالح** صوّرت لنا في روايتها **لخضر** ذاتا عاشت فقرا وحرمانا، وأحوال معيشية سيّئة منذ طفولتها، وحمّلها المجتمع مسؤولية فاقت طاقتها، ذاتا انطفأ حلم شبابها قبل بدايتها، وهذا ما دفع بها إلى اتّخاذ منحى آخر في حياتها، فلقد كان لهذه الرّوائية رأي فيما جرى وما يجري في الجزائر، وقد استطاعت أن تضع يدّها على الجرح في محاولتها لتصوير الواقع المعيش لغالبية أبناء الطّبقة الفقيرة في المجتمعات العربية، وفي الجزائر بوجه خاص، فقد نجحت **ياسمينة صالح** في طريقة تمثيل هذه الذّات التّي مثّلتها بشخصية لخضر، فصوّرت كلّ ما مرّت به هذه الشّخصية من تقلّبات وحالات مصيرية ويأس شديد، وما حقّقته من نجاحات وانتصارات لم تكن تحلم بها يوما، بحيث تدرّجت من شخصية هامشية منبوذة عاشت أدنى درجات الفقر والحرمان، إلى شخصية هامة وبارزة في الدّولة الجزائرية وبرُتبة" جنرال"، وأشارت الرّوائية إلى كلّ الانتقالات المختلفة التّي تعرّض لها **لخضر** في مسار حياته.

فكيف مثّلت الكاتبة هذه الذّات الدّينامية؟ وبأي طريقة كشفت عن فراغها وضياعها تارة، وأملها وانبعاثها تارة أخرى؟.

إنّ الكاتبة قد نوّعت في تصوير هذه الذّات في كلّ مرحلة من حياتها منها:

1_ الذّات اليائسة:

إنّ الحياة التّي كانت تحياها هذه الذّات أرادتها الكاتبة صوتا معبّرا عن جيل كامل من الشّباب الجزائري وجد نفسه أمام اللّاجدوى، واللّاشيء والانسداد، في إحدى الفترات العصيبة التّي تتمثّل في العشرية السّوداء، مقابل ظهور التّيارات الإسلامية المسيّسة. ففي بداية الرّواية نشعر مباشرة بدرجة المعاناة، وألم، وخيبة أمل هذه الذّات جزاء قساوة ظروف معيشتها، تقول

الرّوائية:« لم يكن لخضر من هؤلاء الذّين يحلمون بشيء ملموس... كان يرى نفسه فاقدا للطّموح، مثلما كان عاجزا عن القول إنّه سعيد بحياديته الضّاربة بعيدا في الهباء! نعم... لم يكن سعيدا(...)»[1]، أصبحت ذات **لخضر** بذلك بعيدة عن الحلم بأشياء قد تحقّقها وتكسبها، وكان **لخضر** يتّخيّل الأشياء التّي كان يتمنّاها، لأنّه يعي جيّدا أنّها لم تخلق له، متيقّنا أنّ الفقر مقدّر على الفقراء، وقد تحوّل إلى بطاقة تعريف أزلية ترافقهم مدى الحياة، أصبح **لخضر** مجرّدا من الأمل ولا يسعى لتحقيق أيّ هدف أو مشروع، هذا ما أدى به إلى الضّياع والفشل، إذ لم يكن يحسّ بطعم السّعادة كأنّه لم تكن من حقّه إذ« ماتت أمّه بعد أسبوع من الولادة العصيبة(...) كانت تحتاج إلى طبيب لم يستطع والده أن يأخذها إليه(...) كان يسمع أنينها ليلا»[2]. كان **لخضر** يعاني نفسيا فلا يغمض له جفن من شدّة تأثّره بمرض أمّه ومعاناتها طوال اللّيل، وعندما يطلب من والده التّصرف إزاء وضع أمّه ينهال عليه ضربا، فهذا تصوير عميق لطفل يفقد أمّه، شعر بيتم شديد، كأنّه يعاني من قساوة القدر عليه، فمعاناة هذه الذّات كبيرة، تجلّت في فقدان أقرب النّاس إليه:« ...كان في السّابعة عشر عندما خسر أخته أيضا»[3].

عاش **لخضر** عدّة انكسارات، فبعد موت أمّه تموت أخته، فيصبح وحيدا وهو في ريعان شبابه، محروما من الحبّ والحنان والاهتمام، وهو في أمسّ الحاجة إليه. فعلى أيّ أساس تتكوّن هذه الذّات؟ وما هي ردّة فعلها إزاء عالمها الخارجي؟

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص19.

[2] – م ن، ص20.

[3] – م ن، ص22.

يجمع علماء النّفس أنّ ذلك الوضع سينتج حتما ذاتا غير مستقرة، مُثيرة وضائعة، مستسلمة للعنف:« اكتشف" لخضر" أنّ الضّرب المبرح هو الطّريقة الوحيدة التّي تُخفّف من غيظ والده وترضي زوجته التّي تهدأ بعدها لأيام طويلة»[1].

هذه الذّات البائسة أصبحت محلّ صراع ونزاع بين الأب وزوجته الثّانية، فهي ذات ذاقت كلّ أنواع المرارة. فقد حرمت من الدّراسة وسلبت منها طفولتها، وحمّلتها ما لا طاقة لها به«أنت تتسكّع في الشّوارع منتظرا منّي أن أصرف عليك وأنت بهذا الطّول المخجل؟(...) لو في عروقك دم لشعرت بالشّفقة على أبيك وهو يكدح طوال اليوم(...) فعلا أنت لا تخجل من نفسك...!»[2].

لم يحظ **لخضر** بتفهّم والده، الذّي كان يضربه ويهينه ناسيا متناسيا أنّ الأطفال في سنّه هم في مقاعد الدّراسة، يحظون بدفء العائلة، فمع أنّه فقد نبع الحنان(الأمّ)، إلاّ أنّ الأب لم يفكّر يوما فيه ولم يمنحه بعض وقته، بل اكتفى بترقّب ذلك للابن ليزيده عنفا وإهانة، كما أجبره على العمل كحمّال في الميناء، وكل هذه العوامل مجتمعة أدّت بهذه الذّات إلى أن تخجل وتحتقر نفسها فعلا، وكما جاء على لسان الرّواية« كان يرى في بطالة ابنه شيئا مثيرا للتّقزز والغثيان، لقد تحوّل في نظره إلى عالة يجب التّخلّص منها في أقرب وقت»[3].

أصبح **لخضر** حملا ثقيلا على والده، الذّي لم يعد يطيق رؤيته عاطلا عن العمل، فقد بذل قصارى جهده لتشغيله، لمساعدته على إعالة أفراد العائلة.

يقول **علي حسن السّعدني** في قضية احترام الذّات« ويتكوّن هذا التّقدير للذّات أو يتشكّل منذ عهد الطّفولة، وذلك وفقا للتّجارب، فإذا ما كانت هذه التّجارب قاسية ومؤلمة يتكون لدى

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص22.

[2] – م ن ، ص. ص23-24.

[3] – م ن، ص24.

الطّفل انطباع سلبي كبير عن ذاته مصاحبا بمشاعر الخوف والخجل والجبن، والتردد مع الكآبة، وعدم الثّقة بالنّفس(...)».[1]

فالأسرة هي المحيط الأوّل الذّي يحتضن الطّفل من ولادته وشخصيته تتكوّن تدريجيا بفضل الاحتكاك والتّفاعل بما يحيط به، فإذا حظي هذا الفرد بما يكفي من الحبّ والحنان والاهتمام، وحسن المعاملة، يكون نظرة إيجابية حول ذاته ومحبّة لنفسه، أمّا إذا حدث العكس ستنتج عنه شخصية مشحونة بشتى أنواع المشاعر السّلبية، بالإضافة إلى عدم الثّقة بالنّفس، مثلما ما حدث لشخصية" لخضر" بسبب ما تلقته من عائلتها ومحيطها الأوّل، فقد أصبحت ذاتا خجولة، محتقرة لنفسها يائسة مستسلمة للهوان.

وقد أكّد **أفلاطون** في فلسفاته« أنّ تربية الإنسان ذاته ويكسبها سلوكات إيجابية ونبذها للسلوكيات السّلبية».[2]

فالفرد عندما يقتنع بجدوى اعتماد السّلوكات البنّاءة، وتبني الأفكار الإيجابية وتجنّب السّيئة منها والسلبية، سيؤثّر بقدر كبير وملحوظ على ذاته، فالذّات التّي تحاول تطوير نفسها بنفسها تكون بالضّرورة أكثر تطوّرا من الذّات التّي تتلقّى هذا التطوّر من الآخر، لأنّ التّطوّر الأوّل نابع من الذّات نفسها، ما يؤدي إلى تباين النّتائج فتفرز ذات واثقة من نفسها، قويّة في مجابهة شتى المواقف والتّأقلم معها حسب طبيعتها، فلو نظر" **لخضر**" إلى ذاته نظرة إيجابية، وتجنّب الأفكار السّلبية التّي آمن بها، بأنّ الفقر سيعيش معه إلى الأبد، وأنّه لا أحد سينظر إليه بالرّضا والقبول، ربّما عاش أوضاعا مختلفة عن تلك التّي شهدها.

[1] – علي حسن السّعدني: الحوار المتمدّن– موبايل. رحالة إلى الذّات www .ahewar.orgss. usp
تاريخ الزّيارة:14/ 7/ 2019. التّوقيت: 17:29، الإنزال: 17/ 5/ 2013.

[2] – الموقع السّابق.

2) الذّات العاملة:

إنّ شخصية **لخضر** حالمة في محاولاتها الخروج من أزمة حاضرها المتمثّلة في الفقر، فهي ذات كانت بأمسّ الحاجة إلى العمل لتجاوزها، وبالفعل تحظى بمنصب عمل في الميناء كحمالة مثل والدها هذا ما يظهره المقطع الآتي من الرّواية:« ومضى الشّهر بسرعة غريبة كان لخضر يعود إلى البيت غير قادر على فعل شيء سوى الارتماء على فرشته البالية والاستغراق في نوم متعب»[1].

هذه الذّات عانت الكثير من النّقص والحرمان، وهي تمارس مهنة شاقة تفوق عمرها، إلاّ أنّها تحاول قدر المستطاع عدم إحراج والدها أمام المدير والعمال، لتثبت أنّها قادرة وقويّة ومتحمّلة، **لخضر**« كان أحيانا يضطر إلى عمل إضافي، يحمل فيه البضائع من المستودعات إلى الشّاحنات التّي تأتي في آخر لحظة لتتسلّم البضائع»[2].

اضطرّ **لخضر** بسبب الوضعية المزرية التّي كانت تعيشها عائلته إلى عمل إضافي من أجل تحسين مستوى معيشة أسرته، فكان يقاوم كلّ هذا التّعب والمشقة رغبة وأملا في النّجاة، فيقول:« أن أعمل، هذا كلّ ما أريده يا سيّدي!»[3]. إن دلّ هذا على شيء إنّما يدلّ على أنّ هذه الذّات لا تبالي بطبيعة العمل الذّي تمارسه، ولا بدرجة الشّقاء الذّي يتحمّله، فالمهمّ أنّها تشتغل وتحصل على مقابل تسدّ به حاجياتها، تضيف الرّاوية في هذا الشّأن:« أنا أعمل عملا يساعد أبي في مصروف البيت، أبي يرى في عملي شيئا عظيما، أنا أكتفي بهذا لأجله!»[4]. فقد بدأت معاناة هذه الشّخصية منذ طفولتها، وكان عمل **لخضر** أملا في إسعاد والده، ومساعدته على إعالة إخوانه الصّغار وأمهّم، بالرّغم من أنّه كان يعاني من الظّلم

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص. ص30–31.

[2] – م ن، ص32.

[3] – م ن، ص33.

[4] – م ن، ص. ص33– 34.

وسيطرة مدير الميناء، هذا ما يجسّده يشبه المقطع الآتي:« وكان رئيس العمّال يبدو عصبيا وهو يطلب من العمال السّرعة في نقل البضائع خارج المستودعات... ساعتان من الرّكض الجنوني ثمّ ينتهي كلّ شيء»[1]. فالشّخصية البطلة تعاني الغطرسة والأوامر العليا، ولا يتسنّى لها التّذمّر أو الشّكوى، فهي متحّدة مع جميع العمّال كخلّية نحل، وأي خطأ سيفصل صاحبه عن العمل أو يعرّض للسّجن، لذا فلا أحد يغامر أو يجازف بمنصبه ومستقبل عائلته، فهذه الذّات استسلمت لواقعها، هذا ما يظهره المقطع الآتي:« سنظلّ حميرا داخل إسطبل السّادة»[2].

هذه المظاهر جميعها تدلّ على الظّلم والاستغلال الذّي يتحمله عامل الطّبقة الكادحة الذّي ولد لخدمة السّادة، وتنفيذ أوامرها وهو مجبر في ذلك لا مخيّر، هذا ما يبيّنه اعتراف الشّخصية ذاتها في قولها:« إنّه عملنا يا سي إبراهيم»[3].

يعدّ القول السّابق تعبيرا عن الرّضا بالقدر، رغم كلّ القسوة والمعاناة، فالجميع مضطر للعمل والمنصب الممنوح فرصة لا تعوّض بالنّسبة إلى هذه الذّات وجميع العمّال، وفي الكثير من الحالات لا تمثّل الذّات العاملة شيئا، هذا ما يظهره المشهد الآتي:« عليك أن تستوعب أنّ في حضور هؤلاء يتحوّل البسطاء مثلنا إلى" لا شيء" لا أكثر ولا أقل...!»[4].

تبرز هذه المقاطع مفارقة المجتمع الإنساني، فمنه من يستغلّ سلطته ونفوذه لإلحاق الأذى والظّلم بالآخرين، ومنه من لا، فكلّ هذه الحالات التّي تعرض لها" لخضر" وعايشها في محيط عمله بالميناء قد شحنت نفسه بثورة داخلية شديدة، وقد اقتنع منذ بداية حياته أنّ البؤس هو بطاقة تعريفه، هذا ما يوضّحه المقطع الآتي:« صحيح أنّه آمن منذ البداية أنّ

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر ، ص. ص36– 37. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص37.

[3] – م ن، ص37.

[4] – م ن، ص42.

الفرح لم يخلق لأجله، بل لأجل الذّين يضعون جزمتهم على رأسه كلّما تجرّأ وبحلق في أحدهم..!»[1].

تيقّنت هذه الذّات أنّ الكآبة عنوانها، والسّعادة ليست من حقّها، بل ملك لأصحاب النّفوذ والسّلطة الذّين يظلمون الأبرياء، فلم يكن أمام هذه الذّات سوى الاستسلام والرّضوخ لواقعها، ولم يكن في وسعها التّنديد أو التّصرّف تجاه المواقف التّي تتعرّض إليها، وفي هذا الصّدد يرى **عمر حسين أحمد بدران:**« من أبرز صفات الشّخصية المستسلمة هي: الميل إلى موافقة الآخرين ومسايرتهم في أغلب الأحوال ومجاملتهم والنّزول عند رغباتهم ولو على حساب الشّخص فهو لا يجرأ أن يقول: لا ولا أريد، ولذا فإنّه يكثر من قول: نعم، حاضر»[2]، هذا ما ينطبق على ذات لخضر وبعيشه في عمله بالميناء، فليس عليه سوى تطبيق الأوامر، والامتثال للسّادة، فأوضاعه هي التّي تجبره على فعل ذلك، غير أنّ بعض المواقف والحالات التّي يصادفها **لخضر** تشعره بشيء من السّعادة، هذا ما تؤكّده الرّاوية في المقطع الآتي«وكان لخضر أسعدهم وهو يضع تلك النّقود في جيب سترته البالية، شعر أنّ الحظّ بدأ يبتسم له، ولأوّل مرّة في حياته تبدو الحياة وكأنّها تصالحت معه، وقد صار الأمل قريبا منه...»[3].

بعد كلّ هذا اليأس والخيبة الذّي عانت منه ذات **لخضر**، وبحثها الطّويل عن نفسها تشعر ببصيص أمل بحصولها على مكافأة في عملها، غير أنّ فرحتها لم تدم، فقد سرق والدها تلك النّقود وحّرمها منها، ولم يكن لها أيّة ردة فعل، ولم تحاول استرجاع حقّها الضّائع، واختارت الصّمت والحزن.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص46.

[2] – عمر حسين أحمد بدران: تحليل الشّخصيات وفنّ التّعامل معها.

الإنزال :1 نوفمبر 2017. الزّيارة: 20/ 7/ 2019. التّوقيت: 10:50. ص15. . www . psyco- dz- info, pdf, 1

[3] – الرواية نفسها، ص 65.

3) الذّات والمناصب: القفزة المهمّة:

لقد طرأ تحوّل، ووقع انتقال مهمّ في حياة لخضر من مهنة حمّال بائس في الميناء إلى حارس ليلي لإحدى الشّخصيات الهامة، فهي قفزة تمثّل منعرجا هاما، فقد تمكّن ذلك الشّخص من إيجاد نفسه الضّائعة، وتحقيق ما كان يحلم به مع استرجاع بعض الأمل، هذا ما يظهره لنا المقطع الآتي:« عندما تسلّم راتبه أوّل مرّة ظهرت ملامح الأمل في عينيه من جديد... يا إلهي... قالها وهو يتخيّل وجه أبيه إن هو رأى راتبه الجديد...!»[1].

انتقل **لخضر** من مرحلة السّيطرة إلى مرحلة أخرى، حيث يقبض لأوّل مرّة راتبه بعيدا عن والده، ويحقّق كلّ ما كان يحلم به من لباس وغذاء، والذّهاب إلى السّينما... وفي هذه المرحلة يعيش" لخضر" أولى مغامراته في عالمه الجديد، عندما يكتشف نوع البضاعة التّي يؤتمن عليها، صناديق أسلحة نارية، يصاب بالذّهول، وهذا المقطع يبرز لنا ذلك:«... ثمّ عاد يرفع غطاء الصّندوق وينظر...! ظلّ يبحلق مذهولا....شعر أنّ ريقه جفّ من هول ما رأى... يا إلهي... سلاح؟»[2].

كانت هذه الذّات متلهّفة لمعرفة محتوى الصّناديق التّي كلّفت بحراستها، فغامر بفتحها وإنصدم لهول المنظر الذّي لم تتوقعه لحظة، هذا ما يتحوّل إلى حادثة قتل ومواجهة مسلّحة مع باقي الحرّاس، يؤدّي بها إلى قتل اثنين، ثمّ محاولة الانتحار تمرّ هذه الحادثة دون معرفة حقيقتها، والقدر كان إلى جانب" لخضر"، يقوده إلى مرحلة ثانية أهمّ من الأولى، يتمكّن من العمل برفقة الجنرال فيصل نفسه، هذا ما يبيّنه المقطع الآتي:« سوف لن تبقى في هذا المستودع، بل تبدأ عملك الجديد من الأسبوع القادم...»[3]، تُنقل هذه الذّات إلى العمل في مستودع آخر، بعد كسبها ثقة الجنرال بسبب مراوغتها في أحداث الحادثة، كذلك رفض هذه

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص89. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص112.

[3] –م ن، ص127.

الذّات الموت والاستسلام بهذا الشّكل، فقد استطاعت أن تقترب من دائرة الأسرار الخطيرة للدّولة، وتوكّل لها مهمة أخرى وهذا ما يبرزه المقطع التّالي:« المهمّ أريدك أن تحكي لي ما يحدث بين الحراس ليلا، حواراتهم، وكم من الوقت يقضونه في الدّردشة فيما بينهم، ماذا يقولون! ماذا يفعلون(...)»[1]

تحوّل **لخضر** من حارس ليلي إلى جاسوس على حرّاس المستودع، عيّنه الجنرال لمراقبة كلّ تحرّك يقوم به الحرّاس ليلا، وبقائه يقظا حدّ الكفاية وصار يكتب تقارير لا وجود لها، تقول الرّاوية:« إنّما ينقل ما يسمعه، تماما كما نقل ما سمعه في تلك اللّيلة التّي وقعت فيها عملية سرقة المخزن...»[2].

هذه الشّخصية تعي جيّدا طبيعة العمل الذّي انخرطت فيه، وتيقّنت أنّه أيّ خطأ يكلّفهما حياتها، وهي ذات رفضت الموت وأصبحت مصرّة على التّرقية أكثر، لذا فهي تتفنّن في تحرير تقارير ليلية حول الحرّاس، وبالفعل سيحظى بإعجاب السّي فاروق، هذا ما يظهره المقطع التّالي:« من الآن فصاعدا سوف تكون تحت إشراف أحد الضّباط، سيدرّبك على بعض الأمور التّي ستحتاجها في العمل مستقبلا»[3].

أصبحت هذه الذّات أهمّ ما كانت عليه، ونالت إعجاب رؤسائها، تُوكل إليها مهمّة أخرى تدخله في مرحلة عملية جديدة،" لخضر" يدخل إلى الجامعة للقيام بمهمة أمنية ضدّ رئيس الجامعة، هذا ما يبرزه المقطع القائل:« ما نريد الحصول عليه من معلومات لا يخصّ مدير الجامعة فحسب، بل محيطه، من طلبة وأساتذة وزوار إلخ، كما نريد معرفة طبيعة علاقاته ببعض الأشخاص!»[4]، فقد كان ضرب الجامعة عملا مقصودا من طرف هؤلاء،

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص127. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص132.

[3] –م ن، ص133.

[4] –م ن، ص139.

فالمهمّة التّي كلّفت بها هذه الشّخصية في غاية الخطورة، وهدفها هو تأجيج الصّراع داخل الجامعة، والقضاء على المدير الذّي هو ابن شهيد، فهذه العناصر تهتمّ بعسكرة المجتمع الجزائري بين عدّة أطراف. أصبح لخضر يترقى في مناصب العمل مقابل تراجع في مستوى أخلاقه، هذا ما نلمسه في المقطع التّالي:« كان مطالبا بتثبيت بعض الميكروفونات في مكتب المدير... كلّ الكلام الذّي يجري داخل المكتب والاتّصالات الهاتفية كانت تصل إلى جهة قريبة تجلس الآذان لتصغي إليها جيّدا!»[1].

لقد أسندت إلى هذه الذّات مهمّة جديدة، تتمثّل في الجوسسة لمعرفة كلّ التّفاصيل التّي تحدث في مكتب الجامعة، ومن ثمّ إثارة أعمال الشّغب، وخلق بلبلة داخل الحرم الجامعي، فقد دخلت الجامعة في إضراب، وحصلت اشتباكات بين الطّلبة ورجال الأمن، كما تمّ إلقاء القبض على السّي الطّيب رئيس الجامعة.

4) الذّات المنفّذة:

تنتقل هذه الذّات إلى مرحلة أهمّ وأخطر من التّي سبقتها، بحيث حدثت نقطة تحوّل مهمّة جديدة في حياة" لخضر"، بحيث يقوم بعمليته المسلّحة الأولى، ومشاركة المجموعة التّي يعمل معها لاغتيال أحدهم، والتّي تقوده إلى سلسلة عنيفة من عمليات العنف والقتل، واكتشافه أخيرا علاقة رجال الدّولة ورموزها الأمنية، والعسكرية بما يقع من أحداث دموية.

أصبح" **لخضر**" ضابطا، وانخرط في مهمّات خطيرة، هذا ما يظهر من خلال هذا المقطع القائل:« هيّا بنا الآن! دفعه جعفر بقوّة كادت تسقطه أرضا، وفهم أنّ عليه الرّكوب معهم في السّيارة التّي انطلقت بسرعة نحو وجهة مجهولة»[2]. فقد أصبحت هذه الشّخصية البطلة أكثر إقداما على تنفيذ الجرائم.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص9.

[2] – م ن، ص242.

ومن ثمّ أضحت أمور هذه الذّات أكثر تعقيدا، واكتشفت أنّها تورّطت للعمق، فقد أصبحت تشارك في مهمّات الاغتيال اللّيلية، وأصبحت أداة للأذى، هذا ما تبرزه الرّاوية في مقطعها:« كان" لخضر" يرتعش من الرّعب وهو يتحسّس مسدّسه ثمّ بدأ إطلاق النّار وفجأة هدأ كلّ شيء كما بدأ...»[1].

لم يكن **لخضر** يعلم ما نوع المهمّة التّي سيتمّ تنفيذها، فقد دخل عالما آخر ذو طبيعة مختلفة عن الذّي كان فيه، عالم المسدّسات وإطلاق النّار، وكلّ يوم مهمّة اغتيال جديدة، وتقول الكاتبة:« العملية كانت تستهدف صحفية جاءت تزور والدتها المريضة، وانتهت إلى اغتيالها مع شقيقين لها أحدهما ضابط شرطة كان مسلّحا أراد حماية أخته فنسي حماية نفسه!»[2]

توالت سلسلة الاغتيالات اليومية، فـ **لخضر** وجماعته يرتكبون عدّة جرائم يومية يذهب فيها العشرات من الأبرياء العزل، والكثير من الكفاءات الإعلامية خاصة والعلمية والتّربوية والعسكرية، هذا ما نلمسه في المقطع القائل:« كان شكل الدّم رهيبا في مدخل البيت، عملية مسيّجة بالدّماء والجثث، عملية تليق بعنوان الصّحيفة في الغدّ»[3].

هذا يدلّ على وحشية العملية التّي قام بها **لخضر** وجماعته الإرهابية، ومن المواجهة التّي حدثت بين الطّرفين، والتّي خلّفت عدّة قتلى، وكانت في الصّفحة الأولى لصحيفة اليوم التّالي لحدوثها، تضيف الرّوائية مقطعا آخر:« ذات يوم، وقد جاءت الأوامر الجديدة لعملية جديدة انتابه خوف غريب من أنّه لن يعود سالما منها»[4]. سيناريو القتل الذّي تمارسه

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص244. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص 258.

[3] – م ن، ص258.

[4] – م ن، ص260.

الجماعة الإرهابية مستمر، والعمليات تتعقّد يوما بعد يوم على **لخضر**، وبعد نجاح هذه المهمّة يصبح نائب المسؤول عن المركز.

تكلّف هذه الذّات بالإشراف على عملية تصفية حساب أخرى، هذا ما يظهر لنا في المقطع الآتي:« سيّدي... جمعنا كلّ الرّجال وننتظر الضّوء الأخضر»[1].

لا تزال هذه الذّات تواصل زهق الأرواح، فهي تتأهّب لعملية قتل جديدة، تضيف الكاتبة بقول:« لا تستعملوا السّلاح الأبيض!... ودَوَت طلقة الرّصاص الأولى، ثمّ تلتها طلقة ثانية وثالثة وساد صمت عميق»[2].

المواطن البسيط هو الذّي يدفع الثّمن، فالمال والسّلطة للنخب الحاكمة، أمّا الأمل والأمان حلم البسطاء، وبعد هذه العملية صار **لخضر** مدير المركز.

وهكذا أصبح **لخضر** يرتقي في سلّم المناصب بسرعة مذهلة من حمّال بائس في الميناء، إلى مخبر يقوم بتحرير تقارير يومية، ثمّ إلى ضابط وأخيرا إلى جنرال، وتقول الكاتبة **صفاء عبد السلام جعفر** في هذا السّياق:«... كلّ موجود حيّ يخوض معركة من المعارك من أجل وجوده التّجريبي، فيقوم بدور فعّال من أجل التّطور ليصبح أكثر ممّا هو عليه»[3]. فكلّ إنسان يسعى جاهدا من أجل بلوغ أهدافه، وتحقيق التّطوّر والتّغيير الذّي يصبو إليه، فكلّ فرد في حالة صمود وكفاح من أجل إثبات وفرض وجوده.

إنّ التّحوّل الكبير الذّي لحق بذات **لخضر**، والذّي كان يقودها بطريقة قدرية إلى تبوّأ أعلى المناصب الأمنية، وإلى ذروة السّلطة، تفسّره ظروف خاصة أسهمت في صنع قوّتها،

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص268. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص272.

[3] – صفاء عبد السّلام جعفر : الذّات الحقيقية عند كارل ياسبرز، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية، مصر، 2001، ص135.

وفرضت نفسها بسلسلة النّجاحات التّي حقّقتها عند تنفيذ مهامها، فقد حدث تحوّل هذه الذّات على الصّعيد الأخلاقي والفكري، والعملي، كما استمدّت مرجعيات تحوّلها من مصادر مختلفة.

أ)التّحوّل الفكري للذّات:

كانت شخصية **لخضر** ضعيفة وجبانة مستسلمة لكلّ ما كانت تتلقاه من ضرب وإهانة وظلم على يدّ والدها، غير أنّ هذه الذّات تتدرّج في التّحوّل إلى أن تصبح ذاتا أخرى باعت روحها لشيطان السّلطة، بدأ التّحوّل الفكري الفعلي لهذه الشّخصية بعدما داس على رأسها أحد أبناء الشّخصيات المهمّة الذّي أتى لاستلام بضاعته في الميناء، لوهلة تخيّل نفسه مكان هذا الشّاب يأمر ويصرخ، لكنّه يندهش في الوقت ذاته، هذا ما يبيّنه هذا القول:«... فجأة شعر بشيء عنيف يحطّ على رأسه... كان الشّاب الأنيق الغاضب واقفا وواضعا حذاءه على رأسه.... كأنّك تتحدّاني أيّها البائس!»[1].

هذا ما يعبّر عن الظّلم والفساد الذّي يمارس ضدّ الطّبقة الكادحة والفقيرة دون أدنى الأسباب، ربّما لمجرّد النّظر إلى أبنائها ليس إلاّ. هذا ما أحدث ثورة داخلية شديدة في ذات" لخضر"، وهو ما يبرزه لنا المقطع الآتي:«... خيّل أنّه قاب قوسين أو أدنى من الصّراخ وهو يجابه الدّموع التّي أبت كرامته أن يتركها تنزل على خدّه»[2].

شعرت هذه الشّخصية بإهانة كبيرة، وقد عاشت حالة من الصّراع الدّاخلي الشّديد، وهذا ما ساهم في بداية تحوّل تفكيرها مستنتجة بأنّ لا شيء يعلو السّلطة. تتعرّض هذه الذّات إلى موقف آخر، لا يختلف كثيرا عن الأوّل، وهو الضّرب المبرح من قبل خطيب حبيبته" نجاة" ابنة" السّي نوح"، الذّي كان ضابطا وهذا ما يظهره المقطع القائل:«... صعد الغضب إلى

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص39. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص41.

وجه خطيبها الذّي التفت نحوه وانهال عليه بالضّرب... ووجد لخضر نفسه يحمي وجهه من الصّفعات بيدين مرتعشتين»[1].

كلّ هذا يحدث بسبب الفارق الطّبقي الموجود بين النّاس، **لخضر** حمّال بائس، والفتى ضابطا يحظى باحترام الجميع له ولبذلته، وقد تمادى في عقابه، هذا ما نشعر به في المقطع القائل:« كان **لخضر** مذهولا من الموقف كلّه، حتّى وهو يشعر بشيء ساخن بدأ يسيل من أنفه، مسحه براحة يده وإذا به دم»[2]. لقد تأذّت هذه الشّخصية جسميا ونفسيا، شعرت بألم وخيبة، وعندما تهمّ بالعودة إلى بيتها تتفاجأ كثيرا، هذا ما يبيّنه المقطع الصّريح:« الضّابط ينتظره عند مدخل الحيّ مع شخصين كانا يرتديان اللّباس الرّسمي»[3]

تصفية حساب هذه الذّات لم ينته بعد، فهذا الضّابط مازال مصرّا على مطاردته وضربه مرّة أخرى بسبب النطق باسم نجاة للمرّة الثّانية، تقول الرّاوية:« إنهال عليه ضربا، وكان لخضر يحمي وجهه بكلتا يدّيه»[4]. هذا ما يدلّ على تمادي الشّخصيات المهّمة في استعمال نفوذها ضدّ الأفراد الضّعفاء الذّين لا حول ولا قوّة لهم. فكلّ هذا الأذى الذّي تلقّته هذه الذّات جعلها تستوعب وتدرك أشياء كثيرة:«... كان لخضر مقتنعا لا وجود لحرّية فوق السّلطة، ولا وجود لكرامة فوق المال... هل يمكن أن يرفع حمّال بائس عينه في وجه وزير أو ابن وزير بحجّة أنّه كائن حرّ؟»[5].

فهم **لخضر** أنّ السّلطة هي المحرّك الرّئيس لحياة الجزائريين في الوقت الحاضر في الماضي وهو ما يدفع على التّساؤل المستمر. كما تعرّض لحادثة أخرى جعلته يتأكّد مرّة أخرى بأنّ السّلطة هي أهمّ شيء:«... كان لخضر يستعدّ لاجتياز الطّريق... اقترب الشّرطي يهرول نحوهم... طلب منه أن يظهر بطاقة هويته... أين تشتغل؟... أشتغل في

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص89. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص90.

[3] – م ن، ص90.

[4] – م ن، ص91.

[5] – م ن، ص93.

مكتب السّي فاروق، شقيق الكولونيل فيصل...! ... ابتسم الشّرطي وهو يقول حصل خير يا سيد»[1].

فالحالات التّي مرّت بها هذه الذّات أثّرت فيها، وجعلتها تتصرّف في الوقت المناسب وبما يتناسب لتنقذ نفسها، وتتّقي شرّ من يفوقونها سلطة وقوّة، فاكتشفت هذه الذّات أنّ« ما ينقصها أهمّ من المال ومن الحبّ ومن الخبز واللّباس... تنقصه السّلطة... التّي تجعل الجميع يبتسم له»[2]. يعتبر **لخضر** السّلطة من أهمّ الحاجيات الضّرورية للفرد، فهي بمثابة الماء، والغذاء، والهواء، واللّباس لذا يسعى للحصول عليها، فإصراره على اكتساب السّلطة كان بسبب العنف الجسدي والظّلم الذين تعرضت لهما من قبل أصحاب النّفوذ:« فالعنف يمثّل استثناءا في حياة الإنسان الكائن الاجتماعي عندما لا تستجيب المؤسّسة الاجتماعية لمصالحه التّي يراها حقوقا مشروعة لنفسه»[3]، ويباشر في انتزاع ما يعتقد أنّه حقّه المشروع، فالإنسان عندما لا يتمكّن من ممارسة حياته السّياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ويحرم من أبسط حقوقه من طرف السّلطة ومختلف أجهزتها، يثور ويسعى إلى طرق مختلفة تمكّنه من تحقيق أحلامه، فهذه الأمور هي التّي جعلت **لخضر** يفكّر بضرورة التّحوّل.

أ) التّحوّل الأخلاقي للذّات:

إنّ هذه الشّخصية كانت ذاتا طائعة وبسيطة، غير أنّ القهر والمعاناة الذّي تعرّضت له من بداية حياتها جعلت أخلاقها تتدرّج في التّحوّل إلى أن أصبحت ذاتا مجرّدة من إنسانيتها، وقد بدأ التّحوّل الأخلاقي لهذه الذّات بداية من تحرير تقارير مُفبركة وكاذبة، تقول الكاتبة

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص108. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص108.

[3] – مجلّة النّبأ: العنف وحركة التّغيير، العددان(21، 22)، السّنة الرّابعة، 1419هـ.

http://annabaa .org. alounf

«وكلّما ساهمت تقاريره في اعتقال أشخاص أبرياء، تُهمتهم أنّهم تكلّموا داخل المقهى أو في مكان عام عن ضجرهم من الأوضاع وعن رغبتهم في التّغيير»[1].

أصبحت هذه الذّات تتفنّن في كتابة تقارير بنوع من التّهويل والخطورة، تسببت في عقوبة البعض، وسجن وقتل البعض الآخر.

لخضر يدخل الجامعة لرصد المعلومات، والإيقاع بالمدير، فالهدف واضح، والخطّة سطّرت بإحكام لضرب الجامعة التّي هي البوابة الإستراتيجية للمجتمع، ومرآة البلد ومحرار مثقفيه ونخبته.

يشرف **لخضر** على قتل الشّخص الذّي كان بجانبه أيّام كان منبوذا، فتصدم عند رؤيته قبل تنفيذ العملية، هذا ما يؤكّده المقطع:« يا إلهي. قالها بينه وبين نفسه ثانية، لم أخطئ، هذا هو فعلا... سي منصور رئيس العمّال في الميناء؟؟»[2] يقابل **لخضر** خير" سي منصور" بالشّر، ناكرا فضله الذّي لم يحل دون تغيير رأيه، وإطلاق الرّصاص عليه.

كما يعقد الجنرال **لخضر** أوّل اجتماع له مع الضّباط الجدد، ويلقي خطابا جاهزا ملفقا:« سنطارد الإرهابيين حتّى نتخلّص من آخرهم لن نسمح باستمرار هذه المهزلة، هذا واجبنا الذّي عليه نحيا وعليه نموت! يا للشّعارات المترفة بالنّفاق! يقولها في نفسه! »[3].

ليس كلّ جنرال وفيّا لوطنه، فالسّلطة هي مرتكز إرهاب الدّولة، تخلق بؤر للتّوتر الأمني والعسكري في البلاد، وتقوم بخلق أعداء وهميين تزعم أنّها ستحاربهم وتبيدهم، بالإضافة إلى كلّ هذه الأعمال، يتخلّى" لخضر" عن ابنه" حسين" لجدّه" سي الطّيب" وزوجته، وتقول الرّاوية واصفة نكرانه لابنه:« نسي ابنه أيضا، ابنه الذّي لم يحمله مرّة بين يديه ولم يضمه إلى صدره»[4]. فانشغال" لخضر" بتنفيذ المهمّات، وبقضايا التّرقية في

---

[1] – ياسمينة صالح، لخضر، ص139. المصدر السابق.

[2] – م ن، ص271.

[3] – م ن، ص. ص275 – 276.

[4] – م ن، ص263.

المناصب جعلته يتنازل عن ولده، ويكبر بعيدا عنه دون أن يعرفه، فهذه الذّات تخلّت عن قيمها، وأصرّت بلوغ قمة السّلطة مهما كان الأمر.

إنّ الأخلاق شرط مهم في حياة الذّات، ذلك أنّ:« ما يزيد من تأزّم الإنسان المعاصر هو عدم قدرته على الفهم الصّحيح لذاته ولكلّ ما يحيط به، فهو ينجرف في سيل من الأزمات والانهيارات القيمية، والتّي يعتبر الشّر المحور بل المحرّك الأساسي لها...»[1]. فقد انساق" لخضر" وراء النّفوذ والشّر، وتجرّد من الإنسانية ومن جميع القيم المثلى للفرد، وهو ما نزل به إلى الدّرك الأسفل من الأخلاق.

ت)مرجعيات الذّات المتحوّلة:

إنّ التّغير الذّي حلّ بحياة" لخضر" له أسبابه الوجيهة، وقد استمدّ مرجعيات تحوّله من مصادر ومواقف مختلفة، نذكر منها:

ت_1) العنف الأسري والحرمان:

إنّ العقاب الذّي كان يسلّط على هذه الذّات قد أسهم في تغييرها، وتبيّن الرّاوية ذلك في قولها:« كان جسمه الصّغير ساحة للمعارك التّي تنفجر بين أبيه وزوجته، ولم يكن يعرف كيف يعترض ولا كيف يقاوم»[2]. تأذّت هذه الذّات بما فيه الكفاية بسبب ما تتلقاه من ضرب حتّى أصبح لا يشعر حتّى بالألم، بالإضافة إلى هذا العنف الجسدي كان يوجّه إليه عنفا لفظيا، هذا ما يبرزه المقطع القائل:« ليتك تخجل من نفسك ولو مرّة واحدة في حياتك! كان خجلا من نفسه فعلا»[3]. للعنف اللّفظي عواقب وخيمة على الفرد، فهو يخلق عقدا نفسية تؤدّي إلى الشّعور بالنّقص، والعزلة ، واحتقار النّفس، وإلى العنف في أغلب الأحيان. فالعنف يولّد العنف ويوسّع من دائرته.

---

[1] – فائزة شرماط: فلسفة الأخلاق عند بول ريكور، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة العامة، إشراف: فتيحة زرداوي، باتنة، 2009/ 2010، ص2.

[2] – ياسمينة صالح: لخضر، ص22.

[3] – م ن، ص23.

إنّ الحياة البائسة التّي كان يعيشها" لخضر" قد أثّرت فيه إلى حدّ كبير، وقد أظهرت الرّاوية بعض تجلّيات ذلك في قولها:« لم يقل له قط: عليك أن تشتري حذاءا جديدا بدل حذاءك الممزّق هذا... وعندما توظّف لم يستطع أن يشتري شيئا لنفسه»[1]هذا الحرمان سبّب الأذى لهذه الشّخصية، حتّى وهي تتقاضى راتبا لا تملك حقّ التّصرّف فيه، فقد كانت تعيش نقصا فادحا:« كلّما وجد نفسه يشتهي أشياء بسيطة... يقف أحيانا أمام مطعم وينظر إلى النّاس يأكلون بِنهَم... يريد أن يرى وجه شخص يأكل حتّى الشّبع»[2].

تكون ردّة الفعل طبيعية، فالمعاملة القاسية التّي تعرّض لها" لخضر" جعلته يترك البيت، ويتحرّر من سيطرة والده، ومن مسؤولية إعالة إخوانه، وهذا ما يظهره لنا المقطع الآتي:« فكّر أن يشتري ما يشاء من الغذاء واللّباس... اشترى بعض الثّياب وحذاءين وسترة جلدية سوداء»[3].

جعل العنف" لخضر" يحقق أحلاما كان يعتقد فيما مضى أنّها مستحيلة، وذلك بعيدا عن أسرته، بحيث« أشارت العديد من الدّراسات إلى أنّ العقاب الجسدي الواقع على الأطفال من شأنه أن يجعل العلاقة بينهم وبين والديهم أقلّ عمقا ودفئا، كما تجعلهم_ أي الأطفال_ أكثر قسوة ورغبة في التّحدي تجاه والديهم، إلى جانب ذلك يصبح الأطفال أقلّ تعاطفا مع الآخرين»[4]. فالعقاب الذّي يتعرّض الطّفل في صغره ينعكس سلبيا على حياته، مثلما حدث لشخصية" لخضر"، فقد اضطرت إلى مغادرة أسرته وإلى الأبد، أصبحت شخصية مجرّدة من العاطفة، ذلك أنّ فاقد الشّيء لا يعطيه.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص36. المصدر السّابق.

[2] – م ن ن ص45.

[3] – م ن، ص99.

[4] – ما تأثير الضّرب على الأطفال. https://mawdoo3. Com.
الإنزال: 2جويلية 2012، الزّيارة: 29جويلية 2019، التّوقيت: 21:15.

ت-2) التّطرّف الدّيني:

إنّ التّطرّف الدّيني الذّي ظهر في الجامعة جعل" لخضر" يستوعب أشياء كثيرة، ويعي مدى خطورة اللّعبة التّي انخرط فيها، والتّي لا ترضى بأيّ خطأ، هذا ما يظهر في حديث النّفس الذّي اقتبس فيه البطل مقولة" وليام شكسبير"William shakespeare:« أنت تعمل في مكان لا مكان فيه لغيرك! أن تكون أو لا تكون، أنت تعيش أو تموت، ولا شكّ أنّك ستختار الحياة!»[1].

هذا يدلّ على بلوغ المنافسة ذروتها، وبقاء الأقوى فيها على قيد الحياة، فكلّ ذات تسعى للنّجاة من الموت هذا ما فهمه لخضر جيّدا.

تكتشف هذه الذّات أنّ الطالبين"فريد وابراهيم" مخبران مثله، يعملون لدى الجماعة نفسها، وقد حوّلا قاعة الرّياضة إلى قاعة للصّلاة، وقادا العصيان في الجامعة، هذا ما يظهر لنا جليّا في المقطع الآتي:« يحملون قضبانا حديدية ويجبرون زملاءهم الطّلبة على الانضمام بالقوّة... يهتفون بصوت واحد" لا إله إلاّ الله والله أكبر عليها نحيا ونموت"...»[2]

فهذا الأمر يزرع خوفا كبيرا في نفسية الشّخصية البطلة، وتستغرب لما أُرسلت هي للتّجسس في الجامعة، مادام أنّهم تمكنوا من إرسال الطّالبين، وهنا يتذكّر ما قاله له كريم:« اللّعبة أكبر من عقلك الصّغير!»[3]. شعرت هذه الذّات فعلا بحالة الخطر الشّديد، وأعلنت حالة الطوارئ للنّجاة من الفخ الذّي كانت ستقع فيه بصفة حتمية، وأدركت أنّ دورها يكاد ينتهي ليبدأ دور" فريد" و"ابراهيم" اللّذين سوف توكّل إليهما مهمّة تأجيج الصّراع داخل الجامعة.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص. ص180- 181. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص152.

[3] – م ن، ص173.

يزداد خوف **لخضر** بعد أن استرق السّمع إلى رئيسه وهو في مكتبه وهو يردّد هذا القول:« تقارير لخضر بدأت تصيبني بالضّجر، بمجرّد أن أتفرّغ سوف أتصرّف بشأنه! هل تريد الاستغناء عنه؟ شخص نكرة مثله لن نحتاج إلى جهد للتّخلّص منه!»[1]. فلقد فهمت هذه الشّخصية أنّها في النّهاية لا شيء، والدّور الذّي كانت تظنّه كبيرا ليس أكثر من دور مهرّج في مسرحية درامية، يمكن القضاء عليه في أيّ لحظة.

يتبيّن من هذا المبحث أنّ **ياسمينة صالح** تمكّنت من تسليط الضّوء على هذا التّحوّل الأخلاقي الدّاخلي الذّي مسّ هذه الذّات، واستطاعت السّفر في أعماق هذه الشّخصية المضطربة لإظهار الصّراع النّفسي الاجتماعي الذّي كانت تحياه هذه الأخيرة، هذا ما جعل روايتها حوارا داخليا مستمرّا بين الخير والشّر، بين الحبّ والضّغينة هذا من جهة، وبين البساطة والسّلطة من جهة أخرى ومشيرة كذلك إلى المواقف التّي أثّرت سلبيا على نفسية **لخضر** ليصبح ما هو عليه.

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص172. المصدر السّابق.

المبحث الثّاني: كشف الذّات تعرية للوجود الإنساني.

عاشت ذات **لخضر** مراحل متغيّرة في حياتها فقد وضعتها الظّروف أكثر من مرّة على مفترق طرق خطيرة، فباعت إنسانيتها لشيطان السّلطة، وداست على كلّ القيم، لكن هذا لا ينفي وجود ضمير متشبّث بأمل يلازم أعماقه ليلومه على أفعاله الشّريرة، أحيانا تظهر هذه الذّات كشخصية تركت نفسها للصّدفة والقدر، وأحيانا أخرى كشخصية حالمة تحاول الخروج من أزمة الفقر والحرمان، وأخيرا كشخصية تسرّب إليها صوت الضّمير الحيّ الذّي يتطلّع إلى الأماني الجميلة التّي اختفت طيلة عقود طويلة.

أ) الذّات الخاضعة:

تركت شخصية **لخضر** للقدر وكان ينظر إليه على أنّه المخطّط الرّئيس لتشكيل حياته، وتصف الرّاوية هذا التّواكل المقصود:« لم يختر في حياته شيئا... لم يختر وضعه ولا العائلة التّي عاش فيها وكبر. لم يختر أمّه التّي اكتشف مع الوقت أنّه لم يعرفها تماما»[1]

صوّرت هذه الشّخصية كذات متشيّئة، فلم يكن لها دخل لا في حياتها، ولا في الوضع الذّي عاشته، فحياة **لخضر** مرهونة بتلك القدرية المتحكّمة في مصيره:« لم يكن يصغي إلى كلام أبيه، كان يفكّر أنّ القدر يضع في طريقه سببا حقيقيا لتغيير حياته»[2]. كانت كلّ مبررات **لخضر** جاهزة للخروج والهروب من شبح الفقر، مقتنعا أنّ القدر سيمهّد له الطّريق لبداية حياة أخرى غير التّي كان يحياها، فالقدر جلب حظوظا له وجعله ينجو من مواقف خطيرة، هذا ما يظهره المقطع الآتي:« وقتها اعترف أنّ القدر كان إلى جانبه... لم يكن يتخيّل أنّ مخيّلته قادرة على فعل ما فعلته... »[3]، فالشّخص عندما يتورّط، يحاول جاهدا

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص19. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص25.

[3] – م ن، ص125.

التّفكير في كلّ الطّرق الممكنة للخلاص، خاصة عندما يرفض فكرة الموت والاستسلام، ويقتنع أنّ القدر يمدّه فرص جديدة للحياة في كلّ مرّة.

تضيف الرّاوية قولها:« خدمه القدر مرّة أخرى عندما تمّ استنطاق الحراس تحت التّعذيب»[1]. عندما يكون القدر في صالح شخص، كلّ الأسباب تؤدّي إلى نجاته، فالشّخصية البطلة تتفنّن في تأليف قصص وروايات لا وجود لها، جعلت الحرّاس يعترفون بجرائم لم يرتكبوها، فلا يزال القدر يحالف" لخضر"، وهذا ما يظهر لنا:« شعر أنّه تغيّر لأنّ القدر خدمه وكان عليه أن يخرج من عنق الزجاجة لأجل أن يعيش...»[2]. يدلّ القول السّابق على مدى عمق التّورّط وخطورة المهمّات التّي كانت تنفّذها هذه الذّات، والفرص التّي حصلت عليها جعلتها تحقّق أمنية شبه مستحيلة وبقاءها حيّة.

إنّ المواقف التّي تثبت أنّ حياة هذه الذّات مسيّرة قدريا كثيرة منها ما يبيّنه القول الآتي«... ابتسم بينه وبين نفسه وهو يكتشف أنّ القدر يساعده على التّخلص من شيء مقرف ومؤذ»[3].

يكون الحظّ بالمرصاد، فخطورة الموقف الذّي تعرّضت له شخصية" لخضر" يدلّ فعلا على أنّ القدر أتاح لها الاستمرار في العيش وتحقيق كلّ أهدافها، فاحتمائها بجسد جعفر من الرّصاص لم ينتبه إليه أحد، هذا ما جعل رؤسائها يكرّمونها بالتّرقية. يلي المقطع الآتي الهام:« وكان له ما أراد! ألم يصنع منه القدر يومها شيئا مهما؟»[4]، يحدث تغيير في حياة هذه الشّخصية، وتشعر بنوع من الفرحة والفخر الشّديد لما صنعته من نجاح، وكانت على يقين أنّها لن تجد فرصة أخرى أفضل من التّي حصلت عليها لكي تصبح شخصية مهمّة فعلا.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص. ص125– 126. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص126.

[3] – م ن، ص262.

[4] –م ن، ص263.

إنّ الشّخصية البطلة في رواية **ياسمينة صالح** آمنت منذ البداية بأنّ القدر سيغيّر حياتها، غير أنّها لم تبق مع ذلك مكتوفة اليدين منتظرة إيّاه، بل تدخّلت في صنع قدرها، وقد ذكرت في موسوعة ويكيبيديا بأنّ« القدر في الإسلام حكم الله، وما قدّره من الأشياء بقدرته في سابق علمه... والإيمان بالقدر هو التّصديق الجازم بأنّ كلّ خير وشرّ فهو بقضاء الله وقدره وأنّه الفعّال لما يريد... ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم، وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها»[1].

إنّ الله سبحانه وتعالى قد ميّز الإنسان عن باقي المخلوقات بالعقل ليتمكّن من التّفكير والتّمييز بين الخير والشّر، وبين الخطأ والصّواب، فالفرد مخيّر لا مسيّر، فهو بنفسه يتحرّك وينفّذ، يطيع أو يعصي، فالفرد دخل في صنع قدره، إلاّ أنّنا لا ننكر بأنّ القدر يمكن أن يصادف الشّخص في كثير من المواقف وفي الوقت المناسب ويكتب له النّجاة والاستمرار في الحياة مثل ما حدث للشّخصية البطلة **لخضر** في هذه الرّواية.

ب_ الذّات الحالمة:

إنّ الأحلام هي جزء من الحياة البشرية، ولكلّ فرد أحلام وأمنيات وأهداف يأمل أن يحققها، كذلك للشّخصية الرّئيسة **لخضر** أحلام وأمنيات، فالقساوة والنّقص الذّي عاشته جعلها ترغب بشدّة في الهرب بعيدا وإلى أيّ مكان. وهذا ما يبيّنه لنا المقطع القائل:« يريد أن يهرب بأيّ ثمن... لا تهمّ الوجهة... المهمّ أن يحقّق ذلك الشّيء الوحيد الذّي تحوّل من مجرّد فكرة ضرورية إلى حلم مصيري...»[2].

فالإنسان عندما يعاني بشدّة من الفقر والجوع، يشعر باليأس والخيبة، وهذا ما يدفعه إلى البحث عن طريق للهرب بعيدا، بحثا عن التّغيير، وفي أغلب الأحيان تصبح هذه الفكرة كحاجة أساسية، وكحلم يراوده ويعيشه كلّ لحظة ويرى بضرورة تحقيقه. فـ **لخضر** كان

---

[1] – قدر (إسلام)، ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة
الزّيارة: 15/ 8/ 2019. التّوقيت: 9:30. Https:// ar.m .wikipedia.org.wiki.

[2] – ياسمينة صالح: لخضر، ص32.

شخصية حالمة منذ صغرها، هذا ما تظهره الرّاوية وهي تسرد بعض مشاهد حياتها:« قبل سنة، حلم بغربة يختارها عن قناعة كخيار وحيد بالنّسبة إليه، في طفولته كان يحلم بالهرب من البيت، وعندما كبر قليلا صار يفكّر في الهرب من البلاد كلّها...»[1]

عندما يعيش الفرد حياة مضطربة ومزرية، يضطرّ إلى التّفكير في كلّ سبل الخلاص من جحيمه، وبعدما تضيق الحياة عليه لا يتمكّن من التّركيز ومعرفة ما يريده، فتختلط عليه الأمور، ويصبح تائها بين أحلامه المختلفة واللّامتناهية، هذا ما يدعّمه هذا المقطع:« لا ينكر أنّه شعر بالغيرة من الشّاب المتعالي، وتمنّى لو كان مكانه، بل وتخيّل نفسه مكانه يأمر وينهر ويغتر... هل كانت لتلك الأحلام...»[2]

إنّ الإنسان غيور بطبعه، وفي الكثير من الأحيان يتعرّض إلى مواقف تشعره بهذه الغيرة، فكلّ فرد يتمنى ويرغب في أن يكون شخصية مهمّة تملك كلّ متطلبات الحياة وتعيش في رفاهية، ومن بين هؤلاء الأفراد البطل الرّئيسي" لخضر". تعيدنا الرّاوية في هذا المقطع إلى بدايات" لخضر" وأحلامه:« كان موظّفا فارغا من المعنى، يحلم بالمال، والثّراء، يحلم أن ينظر إليه كسيّد محترم، ويعرف أنّها أضغاث أحلام كلّما وجد نفسه يشتهي أشياء بسيطة...»[3].

فالفرد يسعى إلى جمع المال كي يضمن استمرارية حياته ويحظى باحترام الآخر له، وهو عكس ما حدث لشخصية **لخضر**، في بداية حياتها وفي مرحلة متقدّمة منها، فهي ذات عاملة غير أنّها لم تتمكّن من الحصول على أشياء بسيطة، فكيف لها أن تحلم بما هو أكبر منها وتراه مستحيلا.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص35. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص42.

[3] – م ن، ص. ص44– 45.

تتواصل أحلام هذه الذّات وهذا ما يظهره المقطع الآتي:« فجأة وجد لخضر نفسه يتخيّل شكله لابسا تلك البذلة الخضراء والنّجوم تلمع فوق كتفيه... تخيّل نفسه واقفا أمام العمّال بصمت يبعث على الرّهبة، ووقار ويثير الخوف...»[1]

تختلف أحلام الإنسان وأمانيه حسب وضعه الاجتماعي وما يعتريه من نقص، فأحيانا يحلم بالهرب وأحيانا أخرى بالمال، أو بالسّلطة والنّفوذ، فبعض المواقف والحالات تجعل أحلام الفرد ضرورة، إن صحّ التّعبير، إلى درجة أنّه يتخيّل نفسه في موقع شخص ما نتيجة تلك الرّغبة الشّديد.

ومن المقاطع التّي تظهر أحلام **لخضر** الصّغيرة:« كنت أحلم بشراء حذاء وقميص وبنطلون جديد...»[2] فقساوة الظّروف المعيشية لبعض الأفراد تجعل فرصة اقتناء الحاجيات البسيطة أشبه بالحلم، بالرّغم من أنّها ليست متطلّبات مستحيلة التّحقيق، لكن تكون مرهونة ومرتبطة بالظّروف الخاصة لكلّ فرد ، ومقترنة بموقعه في مجتمعه.

يختلف البشر في درجات الرّزق الذّي يمنحها إيّاهم الله سبحانه وتعالى، فمنهم الأغنياء الذّين يملكون كلّ ما يحتاجون إليه، ومنهم الفقراء الذّين لا يجدون قُتات خبز يسدّون جوعهم، أو لباس يقيهم الحرّ والقرّ، فالجوع والنّقص يجعلان المحتاج يحلم بتلك الأشياء التّي حرّم منها، ويتخيّل نفسه مكان الذّي يأكل أو يلبس. قيل« لو كانت الأحلام والأمنيات بيدّ الأباطرة والسّلاطين لسنّ القوانين الرادعة والمقنّنة ومنها حق الملكية للوالي أو الحاكم أي لا يحق للإنسان ممارسة حقّه الذّي منحه الله إيّاه إلاّ بعد الرّجوع إلى فخامته مشفوع بطلب استرحام متى وأين وكيف وبماذا تحلم...»[3]. ولا يكتفي أصحاب السّلطة والنّفوذ بتجويع الشّعب، وممارسة الظّلم والاستبداد، فليس لحكمهم الجائر حدود، ولو لم تكن الأحلام والأمنيات حقّا

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص63. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص74.

[3] – جمال سلطان: المصريون صحيفة يومية مستقلة، أحلام الفقير حقيقة ولنا عبرة في" نفيسة"؟؟ https://m.almesryoon.com> story.
الإنزال: 17أكتوبر 2016. الزّيارة: 15أوت 2019. التّوقيت: 13:30.

لكلّ إنسان، من عند الله سبحانه وتعالى وهو الذّي يختار زمنها ونوعها، لاشتدّ الضّيق عليه وكان عرضة لقوانين تحدّد نوع الأحلام المسموح بها فقط،أي يحلم الفرد بما يرغب مضطهدوه.

يحلم الإنسان الضّعيف الفقير دائما بالأمن والاستقرار، والاحترام:« فعندما تحلم بالسّر يؤشّر أنّه هناك ظلم من النّظام وبما أنّه كذلك فبحلمك تدعو إلى تنظيم سري لإسقاط النّظام والمساس بهوية الدّولة وإيّاك أن تنقل أحلامك وأمانيك على الورق هذا يؤدّي بك إلى حبل المشنقة باعتبار ما تكتبه هي منشورات تحريضية ضدّ السّلطة»[1] فالأحلام والأمنيات هي وليدة الفساد والاستبداد والطّغيان الذّي يمارس على النّاس البسطاء، وهذه الأخيرة تكون سريّة يحتفظ بها الإنسان فقط لنفسه دون إسماعها لغيره، وإلاّ اعتبر إنسانا متمرّدا وخارجا عن القانون، مثيرا للمتاعب وسوف يتعرّض إمّا للسّجن أو القتل.

ث) الذّات المتردّدة:

إنّ الشّخصية البطلة عاشت عدّة تحوّلات وانتقالات كثيرة في حياتها، تؤثّر في كلّ مرّة عليها، وقد أصبحت متردّدة في قرارة نفسها في تنفيذ المهمّات التّي توكل إليها، والإقدام على تنفيذها من أجل التّرقية في العمل. فيظهر لنا تغيّر لا إرادي في مسار هذه الذّات. هذا ما يظهره المقطع الآتي على سبيل المثال:« لأوّل مرّة يشعر بشيء غريب نحو المدير... بشيء غريب جعله يضغط على كتف المدير ويقول له بأعلى صوته:_ سيّدي... أنت لست مسؤولا لما جرى... هل هو من قال هذا؟...»[2]

لقد شعرت هذه الذّات بالتّعاطف والتّضامن مع مدير الجامعة عفويا دون أن تشعر، هذا ما يبيّنه لنا السّؤال المطروح هل هي فعلا صاحبة هذا الكلام الموجّه إلى المدير، لأنّ

[1] – جمال سلطان: المصريون صحيفة يومية مستقلة. الموقع السّابق.

[2] – ياسمينة صالح: لخضر، ص154.

عملها يقتضي إلغاء العاطفة التّي تعرقل العمل وتفسده، يلي المقطع الآتي يوسّع دائرة الإعتراف:« ألم يكن المدير، ممن لم يستحقوا الأذى؟»[1]

هذا يدلّ على انشطار هذه الذّات وعدم استقرارها في اتّخاذ واختيار قراراتها وأعمالها، وظهور العاطفة بطريقة لا شعورية. كما يظهر لنا ندمها جليّا في:« عندما علم لخضر أنّ حالة المدير ربّما لن تتحسّن، أصيب بما يشبه تأنيب الضّمير...»[2]

لقد تأثّر **لخضر** بما حدث لمدير الجامعة **سي الطّيب**، وأدرك أنّ الظّلم الذّي تعرّض له لم يكن يستحقه، ناسيا أنّه شارك في أذّيته رغم براءته ونزاهته، ووفائه لمهنته ووطنه.

يتواصل تأنيب ضمير **لخضر** لنفسه، هذا ما تبيّنه الرّاوية في مقطعها الآتي:« ماذا يعني لك العمل مخبرا ضدّ أشخاص لا تعرفهم، وقد يكونون أصدقاء أوفياء لو تعرّفت عليهم، وقد يضحّون بأنفسهم في سبيلك...»[3]

طيبة المدير ووطنيته وإنسانيته لها وقع خاص في نفسية **لخضر**، جعلته للحظات ينسى موضعه والمهمّة التّي كلّف بها، ويظهر المقطع الآتي ذلك بالتّأكيد على ندرته« كانت تلك من اللّحظات الحقيقية والقليلة التّي شعر فيها بالذّنب... وتمنّى فيها لو كان السّي الطّيب والده...»[4]

يشعر **لخضر** في بعض المواقف بالنّدم الشّديد بسبب تحوّله إلى أداة للأذى تطال أناس أبرياء شرفاء لا يستحقون هذه النّهاية، غير أنّه سرعان ما ينفّذ مهمّته لأنّ عمله يتطلّب ذلك.

ما تزال الشّخصية البطلة ذاتها مشوّشة وهائمة، ومحاسبتها لنفسها لا تكاد تفارقها، ومع ذلك يظلّ تنفيذها لجرائمها لا يزال قائما، هذا ما يظهر في المقطع القائل:« وشعر بالذّنب

---

[1] – ياسمينة صالح، ص154. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص165.

[3] –م ن، ص. ص167– 168.

[4] – م ن، ص191.

لأنّه ساهم في اغتيال الباهي الذّي تمّ اختطافه أول الأمر، قبل أن يتمّ إعدامه بتلك الطّريقة الشّنيعة»[1]

يظهر المقطع السّابق موت الباهي، الشّخصية المحبّة والمدافعة بقلمها عن وطنها بطريقة بشعة، بحيث تمّ فصل رأسها عن جسدها، وهو ما ترك أثرا عميقا في نفسية **لخضر** عندما علم بطريقة الاغتيال رغم أنّه شارك في ذلك، لا يزال تردّد وتأثّر هذه الذّات قائما هذا ما يتبدّى لنا في المقطع الآتي:« كان قلبه يخفق بشدّة وهو يفكّر أنّ عليه قتل الرّجل الوحيد الذّي لم يؤذه، والذّي كان سببا في ما وصل إليه اليوم»[2]

تزداد درجة تأثّر هذه الشّخصية كلّما تقدّمت على تنفيذ جريمة قتل جديدة، إلاّ أنّها لا تتراجع عن تنفيذها، ولم يكن سهلا عليها أن تعطي إشارة إطلاق النّار على هذا الرّجل (السي منصور)، هذا ما يظهر جليّا في المقطع التّالي:« هل يمكنه قتل الشّخص الوحيد الذّي كان يتقاسم رغيف خبزه مع الآخرين؟ هل يمكن قتل رجل كهذا؟ فكّر في أنّ رئيسه ينتظر مكالمته لينام قرير العين»[3].

يخطّط **لخضر** لقتل **سي منصور** رئيس العمال في الميناء سابقا، في حاجز ليلي مزيّف، وهو الرّجل الوحيد الذّي كان بجانبه عندما كان في أمسّ الحاجة، غير أنّه تمّت تصفيته ونهايته

توجد عدّة عوامل تتدخل في تكوين الشّخصية وبنائها، هذا ما ينتج عدّة شخصيات متباينة في سلوكاتها، فشخصية **لخضر** في الرّواية عاشت ظروفا ومواقف خاصة أدت إلى تولّد الذّات التّي تنشطر مع نفسها لدى إقدامها على اتخاذ قرار ما، وفي هذا الصّدد تقول الباحثة **مي صالح قطاش** المتخصّصة في علم النّفس التّربوي والذّكاءات المتعدّدة في

[1] – ياسمينة صالح، ص249. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص271.

[3] – م ن، ص271.

صحيفة الرّأي:« التّردد في اتّخاذ القرارات وعدم المقدرة على الخروج بمواقف هو في حقيقة الأمر صفة من صفات بعض الشّخصيات التّي ربّما التّي لم تتح لها الفرصة منذ سنّ مبكرة لاتّخاذ قرارات سليمة وصحيحة»[1]. كذلك **لخضر** لم يعش في أجواء عائلية سليمة، لهذا كان يعيش الضّياع، والخيال الدّائم، فلم توفر له العائلة حياة سوية تعلّمه طرق اتّخاذ القرارات الصّحيحة والتّخطيط للمستقبل، كما ذكرت الباحثة **مي صالح قطاش**، كما يضيف بهذا الصّدد **عمّار الدّهوقي** المتخصّص والمستشار النّفسي إلى أنّ« هناك أسبابا عديدة لسمة التّردد لدى كثير من الأشخاص، لكن أهمّ سبب من وجهة نظري البيئة المحيطة، فقد تحبط أو تقمع أو تشجع الفرد على اتّخاذ القرارات منذ صغره»[2]، وإلى جانب الأسرة نجد عامل البيئة الذّي يؤثّر تأثيرا كبيرا على نشأة الفرد وتصرّفاته، فجميع الأشخاص المحيطين به، سواء في المدرسة، أو في مكان العمل، أو الشّارع لهم انعكاس كبير على أن يكون هذا الفرد واثقا من نفسه وناجحا في حياته أو فاشلا ضائعا.

وتضيف **صفاء عبد السّلام جعفر** بأنّ:« الصّراع لا يتم بين الموجودات فحسب، وإنّما يحياه الفرد أيضا، فالوجود الماهوي في صيرورة" الذّات" يدخل في صراع مع نفسه...»[3].

فالصّراعات التّي يتعرّض لها الفرد ويعيشها يوميا، لا تكون بالضّرورة صراعات بين الأفراد بعضهم البعض، بل تتعدّى ذلك، فالكثير من الحالات والمواقف تجعل الفرد يعيش صراع لا متناهي مع ذاته يجعله يتردّد في تنفيذ بعض القرارات أو التّراجع عنها، فيكون في اضطراب دائم، مثلما حدث لشخصية **لخضر** التّي كانت تحيا صراعا داخليا، كلّما أقدمت على إتمام مهمة ما.

---

[1] – صحيفة الرّأي، الشّخصية المترددة تراوح مكانها في مربع الثّبات السّلبي. alri. Com> Article>أبواب>...
تاريخ النّشر: الأحد 23/ 2019/6، 11:37.
الزّيارة: 20 أوت2015.

[2] – م ن.

[3] – صفاء عبد السّلام جعفر : الذّات الحقيقية عند كارل ياسبرز، ص135. المرجع السّابق.

ج) الذّات الجديدة:

تتهاوى قوى جبروت هذه الذّات، ويتسرّب صوت الضّمير إليها، الذّي اختفى طيلة سنوات عيشها المليئة بالعنف والقسوة، ليجعلها تولد من جديد، هذا ما يظهر لنا في العديد من المواقف، ومن بينها المقطع الآتي:« قد عاش طوال سنوات دون رغبة في التّعاطف مع شيء أو مع أحد، لكن ما شعر به لم يكن تعاطفا، كان شيئا آخر، أقوى من التّعاطف وأقرب إلى الحب...!»[1]

تنتشل هذه الذّات نفسها من بحيرة الدّم والقتل، لتحسّ بشيء جميل يشجّعها على بداية حياة جديدة غير التّي كانت تحياها، وتقول الرّاوية واصفة ذلك التّحوّل:« وقبالة وجه بسيط وجد نفسه يتلمّس حزنه العميق حتّى كاد يجهش بالبكاء!»[2]

وبذلك يصبح **لخضر** شخصا ضعيفا، يشعر بالأسى ورغبة شديدة في البكاء لسبب رؤيته صورة ابنه **حسين** الذّي تخلّى عنه.

تضيف الرّاوية واصفة علامات ذلك التّحوّل:« فجأة بدأ لخضر يستغل أدنى سبب لينزل إلى ساحة التّدريبات... فجأة أصبح أكثر حضورا قفي كلّ مكان، ينزل فجأة إلى المطعم وقت الغذاء...»[3]. تتمكّن هذه الذّات من الاندماج في الحياة بسبب ابنها، محاولة كسب ثقته، وصارت نشيطة وحيوية، متواجدة في كلّ مكان داخل مركزها، وممّا يؤكّد وقوع ذلك التّحوّل المقطع الآتي:« استطاع أن يكوّن علاقة إنسانية مع الضّباط كلّما اقترب منهم، وكلّما سألهم عن أخبارهم وأخبار أسرتهم»[4]. يزداد اهتمام وتقرّب بطل الرّواية بضباطه ليصل إلى بناء علاقة إنسانية وطيدة معهم، بالمقابل زيادة احترام الضّباط له كلّ يوم ومن بينهم ابنه.

---

[1] – ياسمينة صالح: لخضر، ص278. المصدر السّابق.

[2] – م ن، ص278.

[3] –م ن، ص286.

[4] – ياسمينة صالح: لخضر، ص286. المصدر السّابق.

يتواصل وصف هذا التّحوّل:« لا يدري، لكنّه يشعر بشيء جديد في حياته له هدف أنبل، شيء أصبح يحرّك في داخله أشياء كثيرة كالفضول، كالفرح الخفيّ»[1]

تشعر هذه الشّخصية بدافع قوي ورغبة شديدة في العيش، وشعور أيقظ أحاسيس وعواطف كانت دفينة بداخلها لم تكن تشعر بها من قبل، وأنّ لها هدفا ساميا في هذه الحياة تعيش من أجله.

تستمر هذه الذّات في التّقدّم والتّطوّر إيجابيا، ويظهر لنا المقطع التّالي اعتراف البطل ذاته بما طرأ عليه من تغيير:« فكّر قبل أن يغمض عينيه أن شيئا ما تغيّر في داخله شيئا حقيقيا وكبيرا، لقد تغيّر قلبه! هل يذكر أنّه تغيّر فعلا؟»[2]. فحبّ ابنه قد خلّصه وطهّر قلبه من الضّغينة والقسوة التّي تجعل صاحبها فاقدا لإنسانيته ويقدم على ارتكاب جرائم دون أن يشعر بذلك. هذا ما تؤكّده لنا الرّاوية في قولها:« فكّر أنّ قلبه لم يعد يصلح للكراهية بعد أن دخل ابنه وفتح شبابيكه على مصراعيها»[3]. أصبح **لخضر** ينظر إلى الحياة بمنظار آخر، كما لو أنّه ولد من جديد ليبدأ صفحة بيضاء، لقد أصبح فعلا أكثر إيجابية، ويظهر المقطع الآتي الذّي جاء على لسان" لخضر" ذلك بوضوح:« المهمّ أن تؤدّي عملك بإحساس من الوفاء لضميرك يا بنّي!»[4]. تصبح هذه الشّخصية الجديدة واعية بمدى أهمية العمل بنوع من الإخلاص والوفاء، لتجنّب تأنيب الضّمير والشّعور بالسّلام الدّاخلي والرّضا عن نفسها، فقد تمكنت من استرجاع بعض القيم والصّفات التّي تخلّت عنها سابقا، والمقطع الآتي يبيّن تراجعه الفعلي عن سلوك الانتقام:« ووجد نفسه لأوّل مرّة منذ سنين يشعر بشيء مغاير لما كان يشعر به من قبل فجأة لم يعد الانتقام من أحد أو من شيء»[5]

---

[1] – م ن، ص. ص296 – 297.

[2] –م ن، ص302.

[3] – م ن، ص305.

[4] – م ن، ص306.

[5] – ياسمينة صالح: لخضر، ص314. المصدر السّابق.

فكلّ موقف يتعرّض له **لخضر** يجعله أكثر اختلافا من ذي قبل، ها هو يتخلّص من أهمّ صفة جعلته وسيلة للأذى، يقول حالما لمستقبل أفضل للجيش والبلد:« أنا لن أبقى جنرالا مدى الحياة، وسيأتي اليوم الذّي أغادر فيه منصبي، ويجب أن أطمئنّ على وجود ضبّاط شرفاء قادرين على أخذ زمام الأمور»[1]. هذا الجنرال يشعر بمسؤولية أداء واجبه والتّفاني فيه، يدرك أخيرا قيمة الوطن الذّي يستحقّ أن يترك بين أيد آمنة وشريفة ليرتاح ضميره، وتنهي الرّاوية بالمقطع الأخير الذّي جاء في قالب وصايا يقدّمها الأب لابنه:« ليس هناك أهمّ من المبادئ يا بنيّ، وعليك أن تدافع عن مبادئك كما تدافع عن كرامتك، وهذا سبب أنّي أختارك أنت بالذّات دفاعا عن المنطق الوحيد الذّي سيتبقى لنا: الوطن!»[2]

فهم **لخضر** أنّه لكلّ بداية نهاية، والشيء الذّي يبقى خالدا هو الوطن الذّي هو بحاجة إلى رجال حقيقيين يدافعون عنه بكلّ صدق ووفاء.

ما يبدو لنا في نهاية الرّواية حدوث تغيير جذري لدى هذه الشّخصية، إذ أصبحت مناقضة لـ **لخضر** الأوّل، ولهذا التّغيير أسبابه الخاصة، ذلك أنّ:« التّغيير للأفضل في حياة الفرد يقتضي وجود مجموعة من الأمور المتشابكة المترابطة كلّ أمر يكمّل الآخر... لذلك فإنّ قرار التّغيير في الحياة ليس فقط شعارا برّاقا يتردّد على ألسنة الكثيرين... بل هو منهج حياة يرافقه اعتقاد قلبي هدفه التّغيير للأفضل...»[3]، وبالمثل كان لدى بطل الرّواية سبب مباشر جعله يتغيّر شيئا فشيئا دون أن يشعر، فقد تغيّر فعلا، وأصبح إنسانا محبّا لابنه، وللحياة، ولوطنه.

وعلى حدّ قول **صفاء عبد السّلام جعفر** فإنّ:«... الذّات الحقيقية، أي أنّه ذات فريدة غير موضوعية، منفتحة تماما على كلّ إمكانيات جديدة... إنّها ذات يمكن أن تعاش...

---

[1] –م ن، ص318.

[2] – م ن، ص318.

[3] – كيف تغيّر حياتك للأفضل. https : //mawdoo3 .com...

الإنزال: 26 جويلية 2017. الزّيارة: 21 أوت 2019. التّوقيت: 12:00.

وتقبل التّواصل مع الآخرين...»[1]، وهذا دليل على أنّ الظّروف هي التّي تصنع أقدار البشر وتسيّر حياتهم، فهم في علاقة طردية مع محيطهم الاجتماعي بدرجة أولى.

أحسنت الكاتبة في هذا الفصل، تصوير مختلف الحالات النّفسية التّي كانت تعيشها هذه الذّات، منها الشّعورية واللّاشعورية، من ضياع، وأحلام، وهذيان، واضطراب وندم، فخبرتها وتخصصها في علم النّفس مكّنها من ذلك، كما توصّلت إلى تعرية الوجود الإنساني، باعتبار أنّ الفرد مهما بلغ وكبّ، وتجبّر، إلاّ أنّه يبقى إنسان له عواطف وأحاسيس ومشاعر تؤثّر عليه.

-" **لخضر" بين عتبة العنوان وفضاءات المتن:**

إنّ عنوان الرّواية هو بنية مختزلة وشديدة الاقتصاد لغويا، فبذلك يفتح أفقا توقعيا كبيرا لدى القارئ، تجعله يبني فرضيات قبل دخوله فضاء القراءة. **لخضر** هو اسم علم له إحالات كثيرة، ودلالات متعدّدة تتجاذبها معاني اللّون كالسّعة والجمال والتّميّز، والخير، كما هو اسم يطلق في المجتمع الجزائري بكثرة، ويختلف النّاس حول ربطه بدلالات مختلفة وأوصاف حسان كالجنّة الخضراء،" لخضر" الرّجل الصّالح، الخصب والنّماء، وغيرها.

غير أنّ كلّ هذه الأوصاف الجميلة تتناقض مع متن هذه الرّواية، ولم يرتبط بها العنوان، فقد كانت حياة الشّخصية البطلة حياة بائسة مليئة بالحزن والتّشاؤم، والعنف والقتل، ما شكل لوحة فنّية بألوان داكنة في رواق مظلم، هذا ما يدفعنا إلى ربط هذا الاسم في هذه الرّواية مثلا بالسّواد، كما يمكننا ربطه أيضا إلى حدّ بعيد ببذلة القتال نظرا لسيطرة المشاهد الأمنية والعسكرية على مقاطع الرّواية.

وفي تداخل دلالات العنف والسّلم في العنوان، تمثيل عميق للوضع الإنساني الجزائري عبر مراحل الجزائر المتعاقبة، وإظهار لمحنة الذّات التّي تتوق وتتمنى بقدر ما تنغلق وتتقوقع، واقعة في ذلك كلّه ضحية الأوضاع والأقدار الإنسانية الرّهيبة.

[1] – صفاء عبد السّلام جعفر : الذّات الحقيقية عند كارل ياسبرز، ص81. المرجع السّابق.

خاتمة:

لا يسعنا في نهاية البحث سوى أن نقول بأنّ موضوع" الذّات" بالغ الأهمية، هذا لسبب تقاطعه مع جميع العلوم الإنسانية، وانتمائه إلى مجالات مختلفة، غير أنّ ما شغلنا نحن هو كيفية تحديده في مجال الأدب، فقد أردنا تتبّع مسار تحوّل الذّات، ومحاولة بيان مظاهر هذا التّحوّل، والسّلب الممارس عليها من جهة أخرى.

تبيّن لنا أنّ" الذّات" التّي تتبعناها من خلال رواية **لخضر** هي ذات معقّدة، بحيث تشكّلت في البداية اجتماعيا كذات سوية تعيش في إطار عائلتها، لتبدأ في التّحوّل شيئا فشيئا لتصبح حمّالة في الميناء، وأسهم تغيير العمل في وقوع ذلك التّحوّل ما جعل تلك الذّات تقترب من دائرة الأسرار الخطيرة للدّولة، حيث تتورط في الاغتيالات، لتصبح بعدها أكثر قسوة، ويقودها تعطّشها إلى قمّة السّلطة لتصبح أخيرا ضابطا ساميا في الجيش.

وفيما يخص مرجعيات وأسباب هذا التّحوّل نذكر بالدّرجة الأولى الفقر والحرمان، الذّي بلغ حدّ الكفاف لدى هذه الذّات، إلى جانب أجواء العنف والقسوة الذّي تربّت فيها واستمرت في تسليطها على الغير.

ورغم كلّ ما طال تلك الذّات من أذى وشرّ وألم إلاّ أنّ صوت الضّمير الحيّ كان كامنا في أعماقها، لتغدو في النّهاية ذاتا جديدة مغايرة تماما لنفسها، مفعمة بالنّشاط والحيوية، مليئة بالأمل، محبّة ووفية لوطنها ومهنتها، هذا كلّه حدث لمجرد رؤيتها صورة الابن التّي هزّت أعماقها وكيانها، وشعرت لأوّل مرّة بمعنى الأبوة.

لقد تفنّنت" ياسمينة صالح" في رسم عواطف الطّفل، وهو يعايش وضعا اجتماعيا يدعو للتّعاطف والحزن والبكاء في الكثير من المقاطع، كما نجحت في تقديمها لصورة حقيقية عن **لخضر** في كلّ مراحله الحياتية، معتمدة في ذلك على العلم السّايكولوجي والسّوسيولوجي

خاتمة:

اللّذين بنت عليهما حركية هذه الذّات، بسبب كفاءتها ومعرفتها لهذين العلمين، فهي خرّيجة كلية علم النّفس.

وتوصّلنا إلى بعض الملاحظات، يمكن إجمالها فيما يلي:

- يمكن القول بأنّ هذه الرّواية هي بحث في خفايا النّفس البشرية، وما تحيل إليه من أهواء ونوازع.
- صوت الذّات في هذه الرّواية هو تمثّل يميّز تطوّر الشّخصية، وانبعاث الكثير من القيم التّي تخرج للعلن عندما تتوفر الظّروف.
- كشف بؤر التّوتر وفضح نقاط ضعف الذّات هو تعرية للوجود الإنساني.
- الفقر المدقع والحرمان يسلبان النفس البشرية إنسانيتها.

_ السّلطة والمال يحوّلان الإنسان إلى أداة للأذى، و آلة للدّمار والخراب.

وفي الختام لا يسعنا سوى أن نسأل الله تعالى عزّ وجلّ أن يمنحنا وغيرنا من الطّلبة والمتعلّمين النّجاح والتّوفيق، وأن يمنّ علينا بتحصيل العلم للجميع، ويرفعنا درجات عنده، وصلّى الله على أشرف الخلق سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1-الكتب:

_ برزان جابر أحمد: الإرشاد والتّوجيه النّفسي، ط1، الجنادرية للنّشر والتّوزيع، عمّان، 2016.

_ جعفر صفاء عبد السّلام : الذّات الحقيقية عند كارل ياسبرز، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية، 2001.

_ جعفر صفاء عبد السّلام: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ.

- محمد توفيق الضوى: طبيعة الوجود في الفلسفة المثالية عند ماكتجارت، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية، مصر، 2000.

- ولترستيس: المنطق وفلسفة الطّبيعة، تر: إمام عبد الفتّاح إمام، ط3، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، بيروت، 1983.

- ياسمينة صالح: لخضر، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

- Hegel, The Science of logic,VoL1, Trans.by W.H. Johnston qnd L.G. struthers, London, 1929.
- Hegel, The of logice of Hegel, Trans.by wallas «From the Encyclopaedia if . philosophical Science», Oxford, 1984.
- Jaspers K:Philosophie, 2er Band verlyvon Julins, springer, Berlin, Germany, 1932.
- Mc Taggart : Commentary on Hegel's Logic, Oxford Clarondon Press, London, 1929 .

2- المعاجم:

_ البستاني بطرس: قطر المحيط، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، 1995.

_ العلايلي عبد الله: الصّحاح في اللّغة والعلوم، ط1، دارة الحضارة العربية، بيروت، 1974.

_ عاقل فاخر : معجم علم النّفس، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1910.

_ مدكور ابراهيم: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1975.

_ معجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية، الطبعة الثالثة، الجزء الأوّل، مطابع الأوقست بشركة الإعلانات الشّرقية، القاهرة، مصر، 1975.

_ يعقوبي محمود: معجم الفلسفة، مكتبة الشّركة الجزائرية، مطبعة البعث، الجزائر، 1979.

الكتب والدّراسات:

3- المجلات والدّوريات:

_ مجلّة النّبأ: العنف وحركة التّغيير، العددان(21، 22)، السّنة الرّابعة، 1419هـ.

4- المذكرات والرسائل الجامعية:

_ زيد دينا موفق: مفهوم الذّات وعلاقته بالتكيّف الاجتماعي، دراسة مقارنة لدى طلبة شهادة الثّانوية العامة بفرعيها العلمي والأدبي، مشروع تخرج مقدم لنيل درجة الإجازة في الإرشاد النّفسي، إشراف: مطاع بركات، دمشق، 2007- 2008.

_ شرماط فائزة: فلسفة الأخلاق عند بول ريكور، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة العامة، إشراف: فتيحة زرداوي، باتنة، 2009/ 2010.

المواقع الإلكترونية:

_ جمال سلطان، المصريون، صحيفة يومية مستقلة، أحلام الفقير حقيقة ولنا عبر في "نفيسة"؟؟ https:// m. almesryoon. Com. Story. الإنزال: 17أكتوبر 2016. الزّيارة:15أوت 2019. التّوقيت: 13:30

– الفصل الرابع: تقدير الذات dspace. Univ- djelf. dz

تاريخ الإنزال: 2017. تاريخ الزّيارة: 3/25/ 2019. التّوقيت:10:30.

_حسن الزّيادي: أسباب الصّراع، الحوار المتمدّن، موبايل،www. M .ahewar. Orgss.asp

تاريخ الإنزال: 7 سبتمبر 2013، تاريخ الزّيارة: 17 جوان 2019، السّاعة: 20:10.

_علي حسن السّعدني: الحوار المتمدّن– موبايل، رحالة إلى الذّات.

تاريخ الزّيارة:14/ 7/ 2019 التّوقيت: 17:29، الإنزال: 17/ 5/ 2013. www .ahewar.orgss. usp

_ عمر حسين أحمد بدران: تحليل الشّخصيات وفنّ التّعامل معها.

الإنزال :1 نوفمبر 2017. الزّيارة: 20/ 7/ 2019. التّوقيت: 10:50

www . psyco dz- info, pdf, 1.

_ صحيفة الرّأي، الشّخصية المترددة تراوح مكانها في مربع الثّبات السّلبي

الزّيارة: 20 أوت2015. أبواب alrai. Com. Article

_ قدر(إسلام)، ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة

الزّيارة: 15/ 8/ 2019. التّوقيت: 9:30 Https:// ar.m .wikipedia.org.wiki.

تاريخ النّشر: الأحد 23/ 2019/6، 11:37.

_ كيف تغيّر حياتك للأفضل. https : //mawdoo3 .com

الإنزال: 26جويلية 2017. الزّيارة: 21 أوت 2019. التّوقيت: 12:00.

_ ما تأثير الضّرب على الأطفال. https://mawdoo3. Com.

الإنزال: 2جويلية 2012، الزّيارة: 29جويلية 2019، التّوقيت: 21:15.

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات:

مقدّمة.....1

الفصل الأول: ماهية الذّات ومحدّداتها.....4

المبحث الأوّل: أنطولوجية الذّات.....5

المبحث الثاني: الذّات في جدلها مع الواقع.....15

الفصل الثّاني: الذّات موضع تمثيل ومكاشفة في رواية" لخضر" لـ" ياسمينة صالح".....20

المبحث الأوّل: الذّات المتحوّلة ومرجعياتها.....21

المبحث الثّاني: كشف الذّات تعرية للوجود الإنساني.....41

خاتمة.....55

قائمة المصادر والمراجع..... 58

فهرست الموضوعات.....62

ملخص المذكرة:

تناول بحثنا الموسوم بـ **تشكل الذّات وتحوّلها في رواية لخضر** لـ **ياسمينة صالح**، قضية" الذّات" ومسعاها لفهم وجودها، والصّراع الدّائم الذّي كانت تحياه مع بيان التّحوّلات التّي طرأت عليها. وهذا البحث وقع في فصلين، اهتمّ الأوّل بماهية الذّات ومحدّداتها، وتناول أنطولوجية الذّات، والذّات في جدلها مع الواقع.

تطرّق الفصل الثّاني الموسوم بـ" الذّات موضع تمثيل ومكاشفة في رواية **لخضر**، وتطرّق إلى الذّات المتحوّلة ومرجعياتها، وكشف الذّات باعتبارها تعرية للوجود الإنساني.